الفيلسوف الكندى ويحيى بن عدى
عن التثليث

تأليف

هرى ولفسون

ترجمة وقدم له وعلق عليه
د./ سلوى عبد الرحمن يونس
أستاذ مساعد - جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين وسيد المرسلين وخاتم الأنبياء إلى يوم الدين، وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى من اهتدى بهدية إلى يوم الدين. وبعد :

لقد وجه الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم المسلمين ولفت أنظارهم إلى جرائم اليهود والنصارى من تحريف وتبديل لما نزل على موسى وعيسى عليهما السلام من الحق، وليس معنى التحريف والتبديل إنكار تلك الكتب السماوية وإنكار نزول الوحى على موسى وعيسى عليهما السلام. ففى ذلك اعتراف القرآن بنزول الوحى على موسى عليه السلام بكتاب فيه هدى ونور هو التوراة ﴿**إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ...**﴾(١) كذلك الإقرار بوجود إنجيل نزل به الوحى على عيسى عليه السلام فيه هدى ونور ﴿**وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراه وهدى وموعظة للمتقين**﴾(٢) لم يقتصر القرآن الكريم على تنبيه المسلمين على تحريف اليهود للتوراة والنصارى للإنجيل فحسب، ولكنه رسم لهم طريق الدعوة إلى دين الحق وحثهم على جدال أهل الكتاب بالحسنى ﴿**وجادلهم بالتى هى أحسن**﴾، ومن التنبيهات التى ذكرت فى القرآن الكريم ما جاء فى قوله تعالى : ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعاً ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شئ قدير**﴾(٣) ،

---

(١) سورة المائدة، آية ٤٤.
(٢) سورة المائدة، آية ٤٦.
(٣) سورة المائدة، آية ١٧.

هذه الحجة المنطقية التى أوردها القرآن الكريم فى هذه الآية الكريمة توجه العقول إلى معرفة قدرة الله تعالى التى يعجز أمامها قدرة كل ما فى السماوات والأرض ولو كان المسيح إلها لرد قدرة الله أو أبطلها أو تساوى معها ولعجزت قدرة الله عن إهلاكه لكن قدرة الله غير عاجزة عن إهلاكه لأنه على كل شئ قدير فلا يكون عيسى إلهاً.

كذلك أقام الحجة على أن عيسى رسول الله بشر كان وأمه يأكلان الطعام ﴿**ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام**﴾ وقد ذكر تعالى أن هذه آية ودليل على بشريته بقوله عز وجل : ﴿**... انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون**﴾(١) هنا ينبه الله تعالى العقول فى الفرق بين الله والإنسان الذى يتمثل فى أكل الطعام وما يصاحب ذلك من مظاهر بشرية وخصائص إنسانية وما ينبنى على ذلك من التغير والتبدل المصاحب للنمو ثم الفناء.

كذلك أقام القرآن الكريم الحجة الدامغة لإثبات وحدانية الله تعالى بقوله تعالى : ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا...**﴾(٢) وقوله تعالى : ﴿**ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون**﴾(٣) وقوله تعالى : ﴿**قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لا بتغوا إلى ذى العرش سبيلا**﴾(٤) .

وقد استفاد المسلمون بلاشك من توجيهات القرآن الكريم فى جدالهم مع المسحيين وفى إقامة الحجج والبراهين فاتخذوا من آياته نبراساً يهتدون به

---

(١) سورة المائدة، آية ٧٥.
(٢) سورة الأنبياء، آية ٢٢.
(٣) سورة المؤمنون، آية ٩١.
(٤) سورة الإسراء، آية ٤٢.

ومعياراً يرجعون إليه وخاصة بعد الفتوحات الإسلامية واختلاط المسلمين بالمسحيين وغيرهم، وأول من استعمل آيات القرآن هادياً هم المتكلمون الذين قالوا بدليل التمانع والتوارد الذى أقاموه على هدى قوله تعالى : ﴿**لوكان فيهما آلهة إلاالله لفسدتا**﴾ وغير ذلك من الآيات وهذا الدليل لا يقوم على جوانب فكرية محددة أى أقيسة منطقية تقوم على مقدمات تؤدى إلى نتائج بقدر ما يقوم على مجرد افتراض فكرة الخلاف أوالاتفاق بين الآلهة.

والكندى مثله مثل المتكلمين فى إثبات الوحدانية المطلقة لله تعالى مسترشداً بما جاء فى القرآن الكريم بخصوص ذلك، والكندى فى إثبات الوحدانية لله يشبه مذهب المعتزلة فيه فقد وضع نصب عينيه قوله تعالى : ﴿**ليس كمثله شئ**﴾، وقوله تعالى : ﴿ **هو الأول والآخر** ﴾ فبمقتضى قوله تعالى : ﴿**ليس كمثله شئ**﴾ قال الكندى بقدم الله تعالى الذى لا يشاركه فيه أحد والمتمثل فى قوله تعالى : ﴿**هو الأول والآخر**﴾ ولذلك نزه الكندى الله من أمارة الحدوث فقال إنه ليس بجنس ولا نوع ولا فصل ولا خاصة ولا عرض ... ثم استرشد بقوله تعالى : ﴿**قل هو الله أحد**﴾ التى تنفى التركيب عن الله، وكلمة "أحد" أبلغ فى الدلالة على الوحدة من كلمة "واحد" فأحدية الله لا تركب فيها بوجه من الوجوه، إنها ليست كواحدية الإنسان الذى يتركب من أجزاء ووحدات. وفى هذه الآية تحديد فكرة الإسلام فى مقابل فكرة التعدد على أى وضع كانت (ولقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) إنها تنفى التثليث وتنفى التركيب، وهى رد على النصارى.

وعلى ذلك أخذ الكندى هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات معياراً نقدياً يحتكم إليه فى التعامل مع أهل الكتاب، والكندى الذى استعمل الكثرة والوحدة فى الأشياء دليلاً على وجود الله تعالى لاحتياجها إلى مركب كان من

الطبيعى أن يستعمل نفس الدليل لإثبات وحدانية الله تعالى للرد على النصارى وغيرهم ممن يدعون آلهة كثيرة.

ودليل الكندى على وجود الله القائم على الكثرة والوحدة فى الموجودات يقول فيه :"إنه لا يمكن أن تكون فى الأشياء كثرة بلا وحدة ولا وحدة بلا كثرة فى كل محسوس وما يلحق بالمحسوس ولما كانت المحسوسات كلها مشتركة فى الكثرة والوحدة كان ذلك عن علة لا عن صدفة، وهذه العلة أمر آخر غير الأشياء المشتركة فى الوحدة والكثرة لأنه لو كان غير ذلك لاستمر بنا التسلسل إلى ما لا نهاية ولا يمكن أن يكون شئ بالفعل بلا نهاية فلا يبقى إلا أن يكون لاشتراكهما علة أخرى غير ذاتها أرفع وأشرف منها وأقدم إذ العلة قبل المعلول بالذات"(١) .

ثم يفرق الكندى بين الواحد الحق والواحد بالمجاز(٢) ، فالواحد الحق عند الكندى ليس عدداً ولا جنساً له البته، وليس حركة لأن الحركة تكون متكثرة وهو ليس نفساً وليس عقلاً وليس أسماء مترادفة وليس عنصراً وليس نوعاً ولا شخصاً ولا فصلاً ولا خاصة ولا عرضا عاما ولا عقلا ولا كلا ولا جزءا ولا جميعا ولا بعضا ولا واحدا بالاضافة إلى غيره، بل واحدا مرسلا، ولا يقبل التكثير ولا هو المركب ولا كثير ولا واحد مما سبق ذكره أنه موجود فيه أنواع جميع أنواع الواحد التى ذكرت، ولا يلحقه ما يلحق شيئ منها ... فالواحد الحق إذن لا ذو هيولى ولا ذو صورة ولا ذو كمية ولا ذو كيفية ولا ذو إضافة ولا موصوف بشئ من باقى المقولات ... والواحد الحق هو الواحد بالذات الذى لا يتكثر بته بجهة من الجهات ولا ينقسم بنوع من

---

(١) رسائل الكندى الفلسفية، القسم الأول، تحقيق وتقديم وتعليق د./ محمد عبد الهادى أبو ريده، المقدمة، ص ١٩-٢٠، ط ٢.

(٢) رسائل الكندى الفلسفية، ص ٨٣، جـ ٢.

الأنواع، لا من جهة ذاته، ولا من جهة غيره، ولا هو زمان ولا مكان ولا حامل ولا محمول ولا كل ولا جزء ولا جوهر ولا عرض ولا ينقسم بنوع من أنواع القسمة أو التكثر بته، فأما الواحد بجميع الأنواع غيره" من استعمال الكندى للألفاظ المذكورة نرى تأثره بمنطق أرسطو الذى استفاد منه أيضا مع آيات القرآن الكريم فى الرد على النصارى.

ومن الأدلة التى أثبت بها الكندى واحدية الله وأحديته ما ورد فى هذا البحث الذى ترجم له بين يدى القارئ والذى أخذ يحيى بن عدى على عاتقه تفنيده وعرضه Walfson المستشرق الإنجليزى بعنوان : الفيلسوف الكندى ويحيى بن عدى على التثليث

The Philosopher Kindi and Yahya Ibn Adi on the Trinity. Harry A. Wolfson.

وقد بدأ المؤلف بعمل مقدمة عن ماهية وحقيقة الجدل وتطوره بين المسلمين والمسيحيين الذى بدأ بتبادل آيات القرآن الكريم ونصوص الكتاب المقدس لدى المسيحيين وانتهى باستعمال الجدل المنطقى ممثلاً فى تفنيد الكندى لتثليث المسيحيين، وقد انتهى البحث إلى أن عقيدة التثليث سر غامض.

أما فيما يتعلق بالترجمة فإنى قد التزمت بالنص التزاماً تاماً. وعند الحاجة إلى توضيح بعض الألفاظ ذكرت ذلك فى الهامش، كما أننى فصلت بين الأرقام الخاصة بالتعليق منى فجعلت الرقم فوق الكلمة وأرقام بحث ولفسن بجانب الكلمة على السطر والاشتباه بين الأرقام لا يكون إلا فى الصفحة الأولى ثم يفترق بتسلسل الأرقام التى استعملها ولفسن والأرقام الخاصة بى ليست كذلك فهى خاصة لكل صفحة.

وقد اعتمدت في ترجمتي للبحث من الإنجليزية إلى العربية على نسخة البحث المنشورة ضمن كتاب دراسات فلسفية بإشراف وتصدير الدكتور عثمان أمين.

وأخيراً لابد لنا في نهاية هذه المقدمة من إعطاء القارئ فكرة سريعة عن يحيى بن عدي والكندي.

التعريف بيحيى بن عدى (٢٨٣ - ٣٦٤ هـ) :

هو يحيى بن عدى بن حميد بن زكريا المنطقى(١) أبو زكريا نزيل بغداد إليه انتهت رئاسة أهل المنطق فى زمانه(٢) ومعرفة العلوم الحكمية(٣) عارف باللغتين السريانية والعربية، ولد بتكريت وانتقل إلى بغداد.

قرأ على أبى بشر متى بن يونس وعلى أبى نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابى وعلى جماعة فى وقتهم(٤) وكان أوحد دهره(٥) .

كان محبا لشراء الكتب الفلسفية فقد قال "رأيت شرح الإسكندر الحكيم للمع الطبيعة ولكتاب البرهان فى المنطق فى تركة واحد من العلماء وأن الشرحين عرضا على بمائة وعشرين ديناراً، فمضيت لتحصيل الدنانير وعدت فوجدت القوم قد باعوا الشرحين - فى جملة كتب أخرى على رجل خراسانى على ثلاثة آلاف دنانير"(٦) .

وكان نصرانيا يعقوبى النحلة وكان جيد المعرفة بالنقل وكان كثير الكتابة ووجدت بخطه عدة كتب(٥)، فكان ملازماً للنسخ بيده وكتب الكثير من كل فن، وكان يكتب خطاً قاعداً بيناً(٢). قال محمد بن إسحق النديم البغدادى فى كتاب الفهرست قال لى يحيى بن عدى يوماً فى الوراقين وقد عاتبته على كثرة نسخه فقال لى من أى شئ تعجب فى هذا الوقت من صبرى قد نسخت

---

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، جـ ١.
(٢) كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء للوزير جمال الدين أبى الحسن على بن القاضى الأشرف يوسف القفطى، توفى سنة ٦٤٦.
(٣) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء.
(٤) فى المراجع السابقة.
(٥) كتاب عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص ٢٣٥.
(٦) مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم/ طاش كبرى زادة، ص ٢٨٩.

بخطى نسختين من التفسير للطبرى وحملتها إلى ملوك الأطراف(٣)، وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى ولعهد بنفس وأنا أكتب فى اليوم والليلة مائة ورقة أو أقل(٢). وترجم عن السريانية كثيراً إلى العربية.

وقال الأمير أبوالوفا المبشر بن فاتك حدثنى شيخى أبو الحسين المعروف بابن الآمدى أنه سمع من أبى على إسحق بن زرعة يقول أن أبا زكريا يحيى بن عدى وصاه أن يكتب على قبره حين حضرته الوفاة وهو فى بيعة مرتوما بقطيعة الدقيق هذين البيتين :

رب ميت قد صار بالعلم حيا ... ومبقى قد مات جهلا وعيا
فاقتنوا العلم كى تنالوا خلوداً ... لا تعدوا الحياة فى الجهل شيئاً(١)

مؤلفاته :

ذكر يوسف القفطى فى كتاب أخبار العلماء قائمة بمصنفات يحيى بن عدى نذكرها فيما يلى :

من التصانيف فى التفاسير والنقول (١) كتاب نقض حجج القائلين بأن الأفعال خلق الله واكتساب للعبد(٢). (٢) وكتاب تفسير طوبيقا لأرسطوطاليس.

٣- مقالة فى البحوث الخمسة عن الرؤوس الثمانية.
٤- كتاب فى تبيين الفضل بين صناعتى المنطق والفلسفة، والنحو العربى.
٥- كتاب فى فضل صناعة المنطق.
٦- كتاب هداية من تاه إلى سبيل النجاة.
٧- كتاب فى تبيين أن للعدد والإضافة ذاتين موجودتين فى الأعداد.

(١) كتاب عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص ٢٣٥.
(٢) وهو قول الأشاعرة.

٨- مقالة فى استخراج العدد المضمر.

٩- مقالة فى ثلاثة بحوث غير المتناهى، تعليق آخر فى ذلك.

١٠- مقالة فى أن كل متصل إنما ينقسم إلى منفصل.

١١- كتاب جواب يحيى بن عدى عن فصل من كتاب أبى الحبش النحوى فيما ظنه أن العدد غير متناه.

١٢- مقالة فى الكلام فى أن الأفعال خلق الله واكتساب العباد(١) .

١٣- كتاب أجوبة بشر اليهودى عن مسائله.

١٤- كتاب شرح مقالة الإسكندر فى الفرق بين الجنس والمادة.

١٥- مقالة فى أن حرارة النار ليست جوهراً للنار.

١٦- مقالة فى غير المتناهى.

١٧- مقالة فى الرد على من قال بأن الأجسام مجلية على طريق الجدل.

١٨- تفسير فصل فى المقالة الثامنة من السماع الطبيعى لأرسطوطاليس.

١٩- مقالة فى أنه ليس شيئاً موجوداً غير متناه ولا عدداً ولا عظماً.

٢٠- مقالة فى تزييف قول القائلين بتركيب الأجسام من أجزاء ولا تتجزأ.

٢١- مقالة فى تبيين ضلالة من يعتقد أن علم البارى بالأمور الممكنة قبل وجودها. تعليق آخر فى هذا المعنى.

٢٢- مقالة فى أن الكم ليس فيه تضاد.

٢٣- مقالة فى أن القطر غير مشارك للضلع عدة مسائل فى كتاب ايساغوجى.

٢٤- مقالة فى أن الشخص اسم مشترك.

٢٥- مقالة فى الكل والأجزاء.

٢٦- تأليف الألف الصغرى من كتب أرسطوطاليس فيما بعد الطبيعة.

---

(١) سبق تصنيف كتاب له فى نقض ذلك، انظر رقم (١) أعلى.

٢٧- مقالة فى الخاصة إلى معرفة ماهيات الجنس والفصل والنـوع والخاصـة والعرض فى معرفة البرهان.

٢٨- مقالة فى الموجودات.

٢٩- مقالة فى أن كل متصل ينقسم إلى أشياء ينقسم دائماً بغير نهاية.

٣٠- كتـاب إثبـات طبيعـة الممكـن وأقـوى الحجـج علـى ذلـك والتنبيــه علــى فسادها.

٣١- مقالة التوحيد.

٣٢- مقالة فى أن المقولات عشرة لا أقل ولا أكثر.

٣٣- مقالة فى أن العرض ليس هو جنسا للتسع المقولات العرضية.

٣٤- مقالة فى تبيين وجود الأمور العامية قول فى الجزء الذى لا يتجزأ.

٣٥- تعاليق عدة فى معان كثيرة.

٣٦- قول فيه تفسير أشياء ذكرها عند ذكره فضل صناعة المنطق.

٣٧- تعاليق عدة عن أبى بشر متى فى أمور جرت بينهما فى المنطق.

٣٨- مقالـة فـى قسـمة الأجنـاس السـتة التـى لـم يقسـمها أرسـطوطاليس إلـى أجناسها المتوسطة وأنواعها وأشخاصها.

٣٩- مقالة فى البحوث العلمية الأربعة عن أصناف الموجـود الثلاثـى الإلهـى والطبيعى والمنطقى.

٤٠- مقالة فى نهج السبيل إلى تحليل القياسات.

٤١- كتاب الشبهة فى إبطال الممكن.

٤٢- جواب الدارمى وأبى الحسن المتكلم عن المسألة فى إبطال الممكن.

٤٣- مقالة بينه وبين إبراهيم بن عدى الكاتب ومناقضة فى أن الجسـم جوهـر وعرض.

٤٤- مقالة فى جواب إبراهيم بن عدى الكاتب.

٤٥- رسالة كتبها لأبى بكر الآدمى العطار فيما تحقق من اعتقاد الحكماء بعد النظر والتحقيق.

وقال ابن أبى أصبيعه من المؤلفات التى لم تذكر سابقاً ما يلى :-

٤٦- مقالة فى سياسة النفس.

٤٧- مقالة فى البحوث الأربعة.

٤٨- كتاب فى منافع المياه ومضارها وجهة استعمالها بحسب اقتراح الشريف أبى طالب ناصر بن إسماعيل صاحب السلطان المقيم فى الفلسطتين(١).

وذكر فى معجم المؤلفين من مؤلفاته :

٤٩- تهذيب الأخلاق.

٥٠ الرد على ما تعتقده الفرق الثلاث اليعقوبية والسطورية والملكية.

وفاه يحيى بن عدى :

اختلف فى شهر وفاته فقد ذكر القفطى أنه توفى يوم الخميس لتسع بقين من ذى الحجة سنة أربع وستين وثلاثمائة للهجرة، وقد جاء فى معجم المؤلفين إنه توفي لتسع بقين من ذى القعدة، وكذلك اختلف فى سنة وفاته فقد ذكر القفطى أنه رأى فى بعض التعاليق بخط من يعنى بهذا الشأن أن وفاته كانت فى اليوم المقدم ذكره - عند القفطى أعلى - من سنة ثلاث وستين وثلاثمائة. وأنه لم يذكر سنة مولد بن عدى فى هذه المصادر التى تيسرت لى إلا أنه يمكن الاستنتاج منها على مولده فإن كانت عند وفاته بلغ سنة إحدى وثمانين سنة شمسية كما ذكر القفطى فيكون على حد قول القفطى أنه ولد عام

(١) كتاب عيون الأنباء، ص ٢٣٥.

٢٨٣ هـ مات ببغداد ودفن فى بيعة القطيعة وكان عمره إحدى وثمانين سنة(١) .

التعريف بالكندى (١٨٥ - ٢٥٣ هـ) :

هو أبو يوسف يعقوب بن إسحق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس بن عدى بن كرب بن معاوية بن جبله بن عدى بن ربيعة بن معاوية الأكبر بن الحارث الأصغربن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثوربن مرقع بن كنده بن عفر بن عدى بن الحارث بن مرة بن أوز بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

هكذا ذكر د/ فيصل عون(٢) نسب الكندى كاملا ليدلل على أنه ينتمى إلى أصل عربى فهو ينتمى إلى عرب قحطان، ولذلك لقب الكندى بفيلسوف العرب(٣) .

نشأ فى البصرةثم انتقل إلى بغداد قرأ الفلسفة وقام بعمل عدة ملخصات لفلاسفة اليونان وبخاصة أرسطو(٢). وقام بإصلاح ما ترجمه غيره للفلسفة اليونانية لتمكنه من اللغة العربية وفهمه الواعى الجيد للفلسفة.

أهم أعماله :

هى الرسائل التى نشرها د/ محمد عبد الهادى أبو ريده تحت عنوان رسائل الكندى الفلسفية وهى :

---

(١) أخبار العلماء، ص ٢٣٦، ٢٣٧.
(٢) الفلسفة الالسلامية فى المشرق، ص ١٠٤، ١٩٨٢.
(٣) انظر كتاب الكندى فيلسوف العرب، د. أحمد فؤاد الأهوانى، ص ١٢.

١- كتاب الكندى فى الفلسفة الأولى وهو كما قال د/ أبو ريده "أطول ما بين أيدينا من مصنفات الكندى كتبه للخليفة المعتصم بالله الذى ولى الخلافة بين عامى ٢١٨، ٢٢٧ هـ.
٢- رسالة فى حدود الأشياء ورسومها.
٣- رسالة فى الفاعل الحق التام والفاعل الناقص.
٤- رسالة فى إيضاح تناهى جرم العالم.
٥- رسالة فى ما لا نهاية له.
٦- رسالة فى وحدانية الله وتناهى جرم العالم.

وهذا فى القسم الأول من كتاب رسائل الكندى الفلسفية الذى حققه د/ محمد عبد الهادى أبو ريده[١] .

والقسم الثانى اشتمل على :
٧- رسالة فى علة الكون والفساد.
٨- رسالة فى الإبانة عن سجود الجرم الأقصى وطاعته لله عز وجل.
٩- رسالة فى أنه توجد جواهر لا أجسام.
١٠- رسالة فى القول فى النفس.
١١- كلام فى النفس.
١٢- رسالة فى ماهية النوم والرؤيا.
١٣- رسالة فى كمية كتب أرسطو.
١٤- رسالة فى الجواهر الخمسة.
١٥- رسالة فى الإبانة عن أن طبيعة الفلك مخالفة لطبائع العناصر الأربعة.
١٦- رسالة فى أن العناصر والجرم الأقصى كرية الشكل.

---

(١) رسائل الكندى الفلسفية القسم الأول تحقيق د/ عبد الهادى أبو ريده.

١٧- رسالة فى السبب الذى له نسبت القدماء الأشكال الخمسة إلى الأسطقات.

١٨- رسالة فى الجرم الحامل بطباعة اللون من العناصر الأربعة والذى هو علة اللون فى غيره.

١٩- رسالة فى العلة التى لها تكون بعض المواضع لا تكاد تمطر.

٢٠- رسالة فى علة كون الضباب.

٢١- رسالة فى علة الثلج والصواعق والرعد والزمهرير.

٢٢- رسالة فى العلة التى لها يبرد أعلى الجو ويسخن ما قرب من الأرض.

٢٣- رسالة فى علة اللون اللأزوردى الذى يرى فى الجو فى جهة السماء ويظن أنه لون السماء.

٢٤- رسالة فى العلة الفاعلة للمدح والجذر(١) .

من العرض الموجز لترجمة كل من الكندى ويحيى بن عدى يتضح أن ابن عدى لم يكن من المعاصرين للكندى حيث أن يحيى بن عدى ولد بعد وفاة الكندى بثلاثين سنة تقريباً ولكنه قرأ على الفارابى الذى التقى بأبى بشر متى بن يونس، وهذا صحيح لأن يحيى بن عدى قرأ أيضاً على أبى بشر متى بن يونس الحكيم الكبير الذى كان مهتماً بالمنطق(٢) .

وهذا يدل على أن يحيى بن عدى لم يناظر الكندى مباشرة ولكن تم ذلك عن طريق محاولة تفنيد يحيى بن عدى لموقف وأدلة الكندى من تثليث المسيحيين من خلال كتاباته.

د./ سلوى عبد الرحمن

(١) الفلسفة الإسلامية فى المشرق، د/ فيصل عون، ص ١٠٧-١٠٨.
(٢) المرجع السابق، ص ١٩٠.

الفيلسوف الكندى ويحيى بن عدى عن التثليث :

إن الجدل(١) المبكر بين المسلمين والنصارى عن التثليث فى أول لقاءاتهم قام على أساس تبادل آيات القرآن الكريم ونصوص الكتاب المقدس لدى النصارى وعلى أساس دعوة بعضهم بأسماء البعض الآخر.

إن استعمال المسلمين المصطلح القرآنى "مشركاً" لتعدد الآلهة (٢ : ٩٩)(٢) ، وحمل تحذير القرآن (٣١ : ١٢) نصب أعينهم ﴿... **لا تشرك بالله**

---

(١) الجدل لغة : هو اللدد فى الخصومة والقدرة عليها. وقد جادلة مجادلة وجدالاً ورجل جدل ومجدال. شديد الجدل. يقال جادلت الرجل فجدلته جدالا، أى غلبته ورجل جدلٍ إذا كان أقوى فى الخصام. والاسم الجدل وهو شدة الخصومة، والجدل اصطلاحاً : هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم. قال الجرجانى : "الجدل عبارة عن مراد يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها" التعريفات للجرجانى. وقال أبو البقاء فى كتاب "الكليات" : "الجدل هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجه أو شبهه. وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره".
(مقدمة شرح المقاصد) يرى كثير من المفكرين والعلماء أن الجدل ظاهرة إنسانية وجدت مع وجود الإنسان على ظهر البسيطة فقد ظهر على المنطق والجدل فى دولة اليونان القديمة، وتصدى لتعليم الجدل أو البراهين الخطابية أناس يقصدهم المتعلمون ليعرفوا كيف ينتصرون على خصومهم فى مجال المنازعة، وكان فى الجزيرة حشد هائل من الديانات والنحل مثل اليهودية والنصرانية والمجوسية والزاردشتية والمانوية والمزدكية والصابئة وأصحاب الروحانيات، وأصحاب الأشخاص كلها تدعى الحق وتدفع الآخرين بالباطل وتستعمل أسلحة الجدل ومنطق العقل، ومغالطة الفكر فى إثبات حقها وإبطال زيف ماعداها.
وكان للقسيسين والرهبان دور فى الحوار والجدل وهم يبشرون بدينهم ويطالبون الآخرين فى اتباعهم والاستماع إليهم. من ذلك جاء فى كلام المستشرق "وزى" : "إن الأساقفة أرادوا أن ينصروا المنذر الثالث ملك الحيرة حوالى ٥١٣ م قال الملك للقسيس يا له من خبر سئ لقد علمت أن رئيس الملائكة قد مات فوا حسرتاه عليه. فقال القسيس : هذا محال، وقد غشك من أخبرك فإن الملائكة خالدون يستحيل عليهم الفناء. فأجابه الملك "أحق ما تقوله ؟ قال القسيس نعم. قال الملك فكيف إذن تريد أن تقنعنى بأن الله ذاته يموت ...؟" تاريخ الجدل، محمد أبو زهرة، من كتاب مقدمة شرح المقاصد للدكتور عبد الرحمن عميرة، ص ٤٨-٥٦.

(٢) يشير إلى قوله تعالى : "**ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون**". والآية هنا ليست موضع استشهاد فما جاء بها هو الفسق وليس الشرك وقد نزلت فى حق اليهود الذين كفروا بمحمد (ﷺ) وجحدوا ما كانوا يقولون فيه،

إن الشرك لظلم عظيم﴾(١) . وكذلك قول القرآن الكريم عن المسيحيين أنهم يشركون مع الله إلهاً آخر، باعتقادهم أن "المسيح ابن الله" (٩ : ٣٠-٣١)(٢) توبيخ للنصارى بسخرية وذلك بإطلاق اسم المشركين(٣) عليهم والمسيحيون يردون على ذلك بالمثل وذلك بقولهم أن المسلمين "مخادعون الله" محتجين بأنه طالما أن المسيح وصف فى القرآن ككلمة الله لا يمكن فصله عن الله فيكون هو الله(٤) وبالتالى فإنكار المسلمين أنه الله تجديف على الله(١). هذا

فقد كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله (ﷺ). الفسق هو خروج الإنسان عما حد له، وعظم التعدى، وعلى ذلك فكل كافر فاسق وليس كل فاسق كافر، وهو دون الشرك فالكفر أقبح وأخبث من الفسق. مفاتيح الغيب، ص ٥٨١، الرازى، ص ٥٨١، مجلد ٧، جـ ١٤. وقد وصف الله تعالى المسيحيين بالكفر فى قوله تعالى : "**لقد كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة**".

(١) لقمان : ١٢ "وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك ...".

(٢) "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون. اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون". التوبة ٢٩-٣١.

(٣) بين الله تعالى أن المسيحيين بمنزلة المشركين فى الشرك، وان كانت طرق القول بالشرك مختلفة - كما قال الرازى : "إذ لا فرق بين من يعبد الصنم وبين من يعبد المسيح وغيره لأنه لا معنى للشرك إلا أن يتخذ الإنسان مع الله معبودا، فإذا حصل هذا المعنى فقد حصل هذا الشرك"، مفاتيح الغيب، جـ ١٤، مجلد ٧، ص ٦٣٠.

(٤) يشير إلى قوله تعالى : "**إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته**" وهو جزء من الآية رقم ١٧١-١٧٢ أخذوا بعض الآية بغية التمويه والتضليل والآية كاملة قوله تعالى : "**يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته، ألقاها إلى مريم وروح منه فأمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة أنتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد .. لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً**".

وقولهم هنا أن المسيح هو الله حيث أنه بموجب هذه الآية الكريمة كلمة الله، وقد رد الله عليهم هذا القول الشنيع وبين أن هذا غلو فى الدين وحيدة عن الحق فى الله تعالى، قال الرازى فى شرح هذه الآية الكريمة : "يعنى لا تصفوا

الله بالحلول والاتحاد فى بدن الإنسان أو روحه، ونزهوه عن هذه الأحوال" وقال : "لما منعهم عن طريق الغلو أرشدهم إلى طريق الحق وهو أن المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وعبده" وهو ما تشتمل وما تشير إليه هذه الآية الكريمة.

وأقول إن ما قيل فى حق عيسى عليه السلام يشبه إلى حد كبير ما قيل فى حق يحيى عليه السلام أنه كلمة من الله. قال تعالى فى حق يحيى عليه السلام : "فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين". فقوله تعالى : **"بكلمة من الله"** يمكن أخذها على طريق البدل أوعطف بيان لقوله تعالى **"بيحيى"** أى أن الله يبشرك بيحيى بكلمة من الله "فالله تعالى يبشره بكلمة منه هو يحيى وهذا كقوله تعالى فى حق عيسى عليه السلام **"ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم"** آل عمران : ٤٥، فالمسيح هو كلمة من الله، كذلك يحيى عليه السلام هو كلمة من الله. "والله تعالى أعلم".

كذلك اتفقا فى كون ولادتهما آية من الله تعالى واشتركا فى ذلك مع إسحاق عليه السلام فالسبب المتعارف لعدم الإنجاب فيهم جميعاً موجود ففى حالة إبراهيم وزكريا عليهما السلام هو الشيخوخة وفى حالة مريم عدم وجود الأب واشترك معهما آدم فى ذلك فكان بغير أب ولا أم، ولذلك جمعهم جميعاً البشارة من الله بالولد، والتعجب بسببها، قال تعالى فى حق إسحق "وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب. قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً إن هذا لشئ عجيب. قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد". هود ٧١ : ٧٢. وقال تعالى : **"لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم قال أبشرتمونى على أن مسنى الكبر فبم تبشرون"** الحجر ٥-٥٤، وقال تعالى على لسان زكريا عليه السلام : **"قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء"** آل عمران : ٤٠. وقال تعالى لى لسان مريم عليها السلام : **"قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون"** آل عمران : ٤٧، فكل منهم كان عن طريق بشارة الملائكة لوجه الاعجاز فى خلقهم، وشاركهم آدم فى إعلان مجيئه فقد أعلن الله للملائكة خلق آدم عليه السلام "وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة"، وكل منهم مخلوق بكلمة الله التى خلق بها آدم قال تعالى : **"ان عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون"**، وكل منهم مثل آدم عليه السلام مخلوق من الجسد الذى اصله التراب وبالروح التى نفخها الله فى آدم "ونفخنا فيه من روحنا" فآدم خلق من جسد بدون أب، وكذلك عيسى عليه السلام خلق من جسد بدون أب.

وقولهم هنا هو مذهبهم فى الحلول فعيسى هو نفسه الله الذى حل فى جسد مريم وهو قول اليعقوبية من فرق النصارى، الملل والنحل ابن حزم، جـ ١، ص ٤٩، والمراد بالمسلمين الذين قالوا أن صفات الله هى ذاته هم المعتزلة، دون أبى هاشم الذى قال بالأحوال ومن قال بالمعانى – الذين أثاروا مشكلة الصفات، فإنهم

يوضح كيف أنه فى الجزء المبكر من القرن الثامن، كما قال يوحنا الدمشقى(١)، المسلمون والمسيحيون عقيدة التثليث فى المسيحية. لكن عندما تعلم الإسلام(٢) من المسيحيين فن المجادلة(٣) ، من خلال المناقشة سلم

تساءلوا عن هذه الصفات هل هى عين ذاته أوغير ذاته وقالوا أن ذات الله وصفاته شئ واحد ومعنى ذلك أن الله حى عالم قادر بذاته لا بعلم وقدرة وحياة زائدة على ذاته، وذلك من أجل تنزيه الله عن الشركاء وإثبات التوحيد والرد على القائلين بأن كلمة الله قديمة. ولا يقول بحلول كلمة الله أو الله فى البشر من المسلمين سوى الحشوية وقولهم باطل ومردود.

(١) يوحنا الدمشقى ٦٧٥-٧٤٩، كان راهباً ولعب دوراً كبيراً فى تطور اللاهوت الأرثوذكسى الشرقى، لخص كل النقاط اللاهوتية التى ظل يُعمل بها طوال عصره فى كتابه الشهير Fount of wisdum . ولد فى دمشق وكان اسمه العربى "المنصور" وأطلق عليه لفصاحة بيانه وذلاقة لسانه "صاحب الذهب" وكان والده سرجيوس مسيحياً، قد خلف والده فى وظيفته فى دمشق فى حكم خلفاء بنى أمية. وكان يوحنا من زعماء حزب الصور والأيقونات فكتب وهو بعد فى وظيفته، سلسلة بحوث دفاعاً عنها. وقد استبدت به نزعة روحية داخلية هرع على اثرها إلى دير مارسابا على مقربة من القدس حيث قضى بقية حياته. وقد رسم كاهنا بيد بطريرك بيت المقدس، وفى أواخر حياته جال فى سورية يخطب دفاعاً عن بقاء الأيقونات والصور فى الكنائس وزار القسطنطينية فى عهد الامبراطور قسطنطين الخامس، كوبرونيموس معرضا حياته لخطر داهم. وقد جمع عقائد الكنيسة فى سفر لاهوتى فلسفى رتيب وأفرد قسما فى أحد مؤلفاته لعقائد الإسلام، وكتب حديثاً ثنائياً على لسان مسيحى ومسلم وضع على لسان كل منهما أدلته المنطقية لاثبات دينه، وعندما اعترض الشرق على الغرب لإضافته كلمة "الابن" وأصر على أن تبقى العبارة "المنبثق من الآب" فقط فقد وفق يوحنا بين الرأيين فلقد اقترح أن تصاغ العبارة "المنبثق من الآب بالابن" إرضاء للفريقين. وكانت أبحاثه ومصنفاته آخر مجهود عقلى للمسيحية اليونانية. وبعد هذا التاريخ إنطفأت شعلة النتاج الفكرى فى الكنيسة الشرقية. تاريخ المسيحية، فجر المسيحية، جـ ١، ص ٢١٥-٢١٦، حبيب سعيد.

(٢) أى المسلمون.

(٣) الجانب الجدلى ظهر عند المتكلمين بوحى من القرآن الكريم وخاصة فى أدلة وحدانية الله فالمتكلمون قدموا مزجا بين جانب دينى يتمثل فى قوله تعالى : **"لو كان فيهما آلهه إلا الله لفسدتا"** الأنبياء ٢٢، وبين جانب جدلى يتمثل فى دليل التمانع أو التغالب حول هذه الآية وما فى معناها من آيات مثل قوله تعالى : **"ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله، إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون"** المؤمنون آية ٩٠، وقوله تعالى : **"قل لو كان معه آلهة كما يقولون، إذاً لا بتغوا إلى ذى العرش سبيلاً"** الإسراء آية ٤٢، وهذه الآيات هى طريق الشرع وقد اعتمد عليها الكندى فى إثبات الوحدانية لله

المسلمون إلى حد ما للمسيحيين بقبول وجود صفات قديمة بالله(١) مثل صفات الشخص الثانى والثالث للثالوث فى الكل ولكن عندهم لا تسمى الله، اتخذ النزاع بين المسلمين والنصارى صفة مختلفة؛ فبدلا من أن ينعت المسلمون النصارى بالنعت القرآنى (مشركون)(٢) بدأوا فى تبرير هذا النعت ببيان كيف أن الاعتقاد فى الثالوث بمعنى أشخاص كل واحد منهم إلهاً متعارض مع الفكرة المحددة لوحده الله التى يؤمن بها النصارى إيماناً لا يقل عن إيمان المسلمين بها.

مع التأثر بالتراث الأرسطى. (أنظر الإرشاد للجوينى لأدلة المتكلمين على وحدانية الله).

(١) يرى Walfson أن المسلمين تعرفوا على الصياغة الكنسية للعقائد المسيحية فى الثالوث والتجسد من مصدرين يرجعان إلى القرن الثامن الميلادى (الثانى الهجرى)، وأن المصدر الأول كان مناظرة خيالية متوهمة بين مسلم ومسيحى وأنها كانت من تأليف يوحنا الدمشقى – انظر الهامش ترجمة يوحنا الدمشقى – قبل عام ٧٥٤ م وأن المصدر الثانى كان مناظرة حقيقية وأن هذه المناظرة كانت بين الخليفة المهدى فى الدولة العباسية ومارتيموثى بطريرك الكنيسة الأرمنية التابعة للكنيسة السورية الشرقية، وأن هذه المناظرة قد انعقدت عام ٧٨١م .. ويقرر Walfson أن من هذين المصدرين تعرف المسلمون على العقائد المسيحية فى الثالوث والتجسد، وقد نتج عن هذا الحوار بين المسلمين والمسيحيين حول تصور ثالثوث سابق على الوجود الأرضى أن ظهر أكبر مشكلة شغلت الفكر وهى مسألة صفات الله وهل لها وجود حقيقى قديم، وخاصة المعتزلة الذين قالوا أن وجود صفات قديمة يؤدى إلى القول بوجود شركاء – قدماء – مع الله فى الأزل وبالتالى يؤدى إلى تعدد الآلهة. انظر نظرية اللاهوت المسيحى وعلم الكلام الإسلامى، أ.د./ عبد العزيز سيف النصر، مجلة الزهراء، العدد الثامن عشر، ٢٠٠٠م، عن كتاب فلسفة الكلام، Walfson .

(٢) اعتقد المسيحيون بعد الفتوحات الإسلامية أن سبب قول المسلمين أنهم مشركون هو وجود الأيقونات والصور فى الكنائس ولذلك ظهرت العدوة إلى تحطيمها وإزالة آثار الشرك لتقديم المسيحية نقية للمسلمين "فكانت مشكلة الأيقونات والصور فى الكنائس، إحدى المشاكل التى أثارت الانقسام بين الأحبار والزعماء، وقد بدأها الإمبراطور ليو، فأصدر فى مستهل القرن الثامن مرسوماً يقضى بتدمير كل التماثيل فى الكنائس ومحو الصور والنقوش وكانت تلك قد غدت أشبه بعبادة الأوثان. وأمل الامبراطور من وراء هذا الإصلاح، أن يستميل اليهود والمسلمين إلى المسيحية النقية". تاريخ المسيحية، جـ ١، ص ٢١٤.

كذلك بدأ المسيحيون من جانبهم يشرحون، عن طريق استعمال تحليلات معينة استعاروها من كنيسة الآباء، كيف أن الأشخاص الثلاثة للثالوث، الذى يدعى كل واحد منهم إلها، مازالوا يستطيعون الحديث عنهم كإله واحد. مثال لهذا التحول فى طريقة الجدال والمناقشة بين المسلمين والمسيحيين كان المثال المبكر للمناقشة بين تيموثى Tumothy والخليفة المهدى(١) ، فى الجزء الأخير من القرن الثامن الميلادى – مع ذلك لازالت نصوص الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد) وآيات القرآن الكريم هى الحد الفاصل فى وجهات النظر المعتبرة للمناقشين، لكن تظهر فى المناقشة والجدل الأسباب المنطقية.

كان الخليفة يطوق لمعرفة كيف يوفق المسيحيون عقيدة الثالوث مع عقيدة وحدة الله، لقد حاول الكاثوليك(٢) تفسير امكانية التوفيق بين هاتين العقيدتين عن طريق استعمال قياس التمثيل كالذى للملك؛ فعالمه وروحه لا يمكن فصلهما عنه، فهو "ملك واحد مع كلمته وروحه وليس ثلاثة ملوك"

---

(١) يقول Walfson أنه فى المناظرة الحقيقية التى جرت بين مارتيموثى، والخليفة المهدى فى الدولة العباسية : ترى كيف أن مارتيموثى قد بذل عناءً شديداً فى بيان أن "الكلمة" التى يوصف بها عيسى ابن مريم تشير إلى المسيح السابق على الوجود الأرضى وهو قديم وهو أيضا متميز عن المسيح المولود، وبعد أن يخبر "مارتيموثى" الخليفة المهدى بالصياغة الكنسية فى الثالوث يقرر أن مصطلح "كلمة" حين يطلق على الابن يشير إلىمسيح سابق على الوجود الأرضى، وكذلك بعد أن يذكر "تيموثى" أن الثالوث الإلهى يتكون من الأب والابن والروح القدس – حسب الصياغة الكنسية للثالوث – فإن الخليفة المهدى يسأله عن الفارق بين الابن والروح القدس، ولماذا لم يكن الابن هوالروح القدس أو الروح القدس هو الابن. نظرية اللاهوت المسيحى وعلم الكلام الاسلامى، أ.د. عبد العزيز سيف النصر، ص ٣٤ من كتاب فلسفة الكلام لـ Walfson :

(٢) فى عهد الآباء استخدمت كلمة "كاثوليكى" لتعنى الكنيسة، ولأول مرة استعملها اغناطيوس الأنطاكى (رسالته إلى أهل أزمير ٢/٨) كانت تدل الكاثوليكية. كما واليوم أيضا، على شكل داخلى ونوعى للكنيسة بينما فى عصر اللاهوت الدفاعى الذهبى كانت الكلمة تطبق خاصة على شمولية الكنيسة الواقعية الخارجية. معجم اللاهوت الكاثوليكى.

وكذلك الشمس التى - مرة ثانية - بسبب ضوئها وحرارتها لا ينفصلان عنها هى مع ضوئها وحرارتها لا تسمى ثلاث شموس لكن هى شمس واحدة(٣) كل هذه الطرق من قياس التمثيل(١) بعكس طريقة كتابات الكنيسة لبيان أن الاختلاف بين أشخاص الثالوث حقيقى وليس اسمى ومع ذلك الله يكون واحداً(٤).

ولكن عندما أصبحت الفلسفة بين المسلمين - أثناء حكم المأمون ٨٣٣ - ٨١٣ فرعا خاصا من المعرفة مستقلا عن علم الكلام، أخذ الجدال بين المسلمين والمسيحيين تجاه عقيدة التثليث وجهة جديدة، فالمسلمون الذين قبل ذلك أبرزوا مشكلتهم عن الصفات الإلهية إلى مشكلة منطقية للقضايا الكلية والحمل(٥)، بدأوا يطبقون نفس طريقة المنطق العقلى فى جدالهم ضد عقيدة التثليث، استرسلوا فى جدالهم بالاقتباس من كتابات أرسطو المنطقية(٢) ووجد المسيحيون أنفسهم مندفعين إلى تطبيق نفس الطريقة فى دفاعهم عن العقيدة

---

(١) لا خير فى رد الغائب إلى الشاهد إلا بشرط وهو المعنى الجامع، ورد الشاهد إلى الغائب هو قياس التمثيل فى المنطق ومعناه كما قال الغزالى : "إنه يوجد حكم جزئى معين واحد فينتقل حكمه إلى جزئى آخر يشابهه بوجه ما وقياس التمثيل هو ما يتوفر فيه حد أوسط يبنىعليه الحكم، وان كانت المقارنة على وجه مخصوص فلابد من ظهوره فى القياس، فما هو الوجه فليحدد حتى تتم المشابهة. وإذا رد هذا القياس إلى الاستقراء فلابد من ذكر الشاهد المعين كأن يقال إن كل إله شاهدته هو ثلاثة وواحد أو كل واحد وثلاثة شاهدته هو إله. فيقال له لم تشاهد الله. فما هو الجامع بين الله والشمس !؟ فإن كان انبثاق الضوء والحرارة منها وأن عيسى منبثق من الله وفيض منه دون إراده لله فى ذلك أو قدرة على المنع الذى يرجع إلى الطبع، وإذا كان كذلك فكيف ينفصل عن الله ليكون ذاتا مستقلة، وكيف يصلب مع بقاء أصله الذى فاض عنه، فهل يمكن لحرارة الشمس وضوئها هذا الانفصال والاعدام فى حالة كونه متصلا بأصله نابعاً منه ملازما له دون أن يقع هذا الحكم على الأصل ألم يكن ذلك تغيراً فى طبيعة الشمس. مرة ثانية ما هو المعنى الجامع بين الله والشمس هل الابن والروح القدس صفات لله قائمة به ولماذا التحديد بصفات ثلاثة فقط !؟.

(٢) لعل Walfson يقصد ما جاء فى مقال اللام من كتاب الميتافيزيقا لأرسطو مذاهب فلاسفة المشرق عاطف العراقى، ص ١٠٢.

التى تنتهك، وهكذا وجد طراز جديد للجدال بين المسلمين والمسيحيين وكان ظهوره فى القرن التاسع الميلادى – والممثل الرئيسى لهذا الطراز الجديد للمجادلة لصالح الإسلام كان الفيلسوف الكندى (٨٧٣ ت)، والممثل الرئيسى لصالح المسيحية كان يحيى بن عدى (٩٧٤ ت)، إن مناقشات الكندى ضد التثليث تعرف فقط من العمل الذى أخذ ابن عدى على عاتقه أن يفنده.

سوف نبدأ هنا بتحليل مناقشات الكندى كما رواها ابن عدى، وحينئذ نشرع لتحليل تفنيد هذه المناقشات التى قال بها ابن عدى ونحصر فيه الاقتباسات وثيقة الصلة بالموضوع من تفنيد مناقشات مسلم آخر، يوجد فى أعمال أخرى لابن عدى(٦).

صورة على الترجمة العربية لصيغة الكابادوسية(١) Cappadocian للتثليث افتتح الكندى مناظرته بقوله "ان كل الفرق المسيحية تعترف أن الأقانيم(٢) الثلاثة الخالدة جوهر واحد(٧) one substance ، حيث إن كلمة جوهر استعملت بمعنى ذات "essence" ، ربما يلاحظ أن الكندى يشير بقوله "كل الفرق المسيحية" إلى الملكانية واليعقوبية والنسطورية(٣) المعروفين

---

(١) هم أصحاب مقدونيس وكان بطريركاً فى القسطنطينية وكان هذا الملك أريوسيا – أريوس – (كان قسيسا بالاسكندرية ومن قوله التوحيد المجرد وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق وأن كلمة الله تعالى التى بها خلق السمات والأرض) كاتبه وكان من قول مقدونيس التوحيد المجرد وأن عيسى عبد مخلوق انسان بنى رسول الله كسائر الأنبياء عليهم السلام وأن عيسى هو روح القدس وكلمة الله وأن روح القدس والكلمة مخلوقان خلق الله كل ذلك الملك والتمثيل ابن حزم والشهرستانى، ص ٤٨، جـ ١،.

(٢) أصل الأقنوم : كلمة سريانية تعنى "شخص مستقل بذاته عن غيره" شفاء العليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل، الجوينى، ص ٦٩.

(٣) هم كبار الفرق التى إفترقت إليها النصارى كما جاء فى الملل والنحل للشهرستانى وقال ابن حزم أن أعظمها فرقة الملكانية "وهى مذهب جميع ملوك النصارى حيث كانوا حاشى الحبشة والنوبة ومذهب عامة أهل كل مملكة للنصارى ومذهب جميع نصارى أفريقية وصقلية والأندلس وجمهور الشام وقولهم إن الله تعالى عبارة عن

قولهم ثلاثة أشياء أب وابن وروح القدس كلها لم تزل وأن عيسى عليه السلام اله تام كله وانسان تام كله ليس أحدهما غير الآخر وان الانسان منه هو الذى صلب وقتل وان الإله منه لم ينله شئ من ذلك وان مريم ولدت الإله والإنسان وأنهما معا شئ واحد ابن الله. ابن حزم/ وقال الشهرستانى : "انهم أصحاب ملكا الذى ظهر بالروم واستولى عليها ومعظم الروم ملكانية قالوا إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته ويعنون بالكلمة اقنوم العلم ويعنون بروح القدس اقنوم الحياة ولا يسمون العلم قبل تدرعه به ابنا بل المسيح مع ما تدرع به ابن فقال بعضهم أن الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمزج الخمر اللبن أو الماء اللبن. وحرصت الملكانية بأن الجوهر غير الأقانيم وذلك الموصوف والصفة وعن هذا صرحوا بإثبات التثليث".

النسطورية : هم "أصحاب نسطور الحكيم - كان بطريركا بالقسطنطينية - الذى ظهر فى زمان المأمون ... قال ان الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة الوجود والعلم والحياة وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هى هو واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية ولا على طريق الظهورية كما قالت اليعقوبية ولكن كاشراق الشمس فى كورة أو على بلور أو كظهور النقش فى الخاتم". وهو "يثبت خواص مختلفة لشئ واحد. ويعنى بقوله هو واحد بالجوهر أى ليس مركبا من جنس بل هو بسيط واحد، ويعنى بالحياة والعلم أقنومين جوهرين أى أصلين مبدأين للعالم. ثم فسر العلم بالنطق والكلمة، ويرجع منتهى كلامه" إثبات كونه تعالى موجودا حيا ناطقا ... وبعضهم يثبت لله تعالى صفات آخر بمنزلة القدرة والإرادة ونحوهما ولم يجعلوها أقانيم كما جعلوا الحياة والعلم أقنومين. ومنهم من أطلقالقول بأن كل واحد من الأقانيم الثلاثة هى ناطق إله..." الشهرستانى الملل والنحل. جـ ٢، ص ٦٥ بهامش الملك والنحل لابن حزم وانظر هداية الحيارى.

اليعقوبية : هم "أصحاب يعقوب قالوا بالأقانيم الثلاثة إلا أنهم قالوا انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الإله هو المسيح وهو الظاهربجسده بل هو هو ... فمنهم منقال المسيح هو الله ومنهم من قال ظهر اللاهوت بالناسوت فصار ناسوت المسيح مظهر الحق لا على طريق حلول جزؤ فيه ولا على سبيل اتحاد الكلمة التى هى فى حكم الصفة بل صار هو هو، وهذ كما يقال ظهر الملك بصورة الانسان أو ظهر الشيطان بصورة حيوان. وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد أقنوم واحد إلا أنه من جوهرين وربما قالوا طبيعة واحدة من طبيعتين فجوهر الإله القديم وجوهر الإنسان المحدث تركبا كما تركبت النفس والبدن فصارا جوهرا واحدا أقنوما واحدا وهو إنسان كله وإله كله فيقال الإنسان صار إلها ولا ينعكس فلا يقال الإله صار إنسانا ومثلوا لذلك بالفحمة المحرقة بالنار فقالوا "كالفحمة تطرح فى النار فيقال صارت الفحمة نارا ولا يقال صارت النار فحمة وهى فى الحقيقة لا نار مطلقة ولا فحمة مطلقة بل هى جمرة. وزعموا أن الكلمة اتحدت بالإنسان الجزئى لا الكلى وربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج والإدراع والحلول كحلول صورة الإنسان فى المرآه المجلوة". واجمع أصحاب التثليث كلهم على أن القديم لا يجوز

للمسلمين بكونهم أرثوذوكس(١) فى عقيدة التثليث ولـم تتضمـن المقدونيين(٢) ، السابيليين(٣) والأريوسيين(٤) المعروفين لهم بكونهم ليسوا أرثوذكس فى عقيـدة التثليث(٨).

أن يتحد بالمحدث إلا أن الأقنوم الذى هو الكلمة اتحـدت دون سـائر الأقـانيم". الملـل والنحل الشهرستانى، جـ ٢، ص ٦٧ بهامش الملل والنحل لابن حزم.

(١) أرثوذوكس انفصلوا عن الكاثوليك القائلين بتعدد الأقـانيم. مـع اتحادهـا فـى الدرجـة. وقالوا بالإله الواحد، المتجسد الموصوف بصفات ثلاث. قالوا : إن الله تعـالى دخـل بطن مريم – رضى الله عنها – وبعد شهور تسعة، خرج فـى صـورة إنسـان، هـو يسوع المسيح، وبعد ثلاث وثلاثين سنة، صلب وقتل، هذا الإلـه المتجسـد : وصعـد إلى السماء فهو فى نظرهم إله ذو مراحل ثلاثة. قبـل التجسـد يسـمى "أقنـوم الأب" وبعد التجسد يسمى "أقنوم الابـن" وبعد القتـل يسـمى "أقنـوم الـروح القدس" ويدعـى النصارى الأرثوذكس أن أقنوم الروح القدس الذى هو الله نفسـه (المرحلـة الثالثـة) عصم كتاب التوراة والأناجيل من الخطأ وقت الكتابة، وبهذه العصمة لا يوجد غلـط فى التوراة والأناجيل. ويدعى النصارى الكاثوليك أن أقنوم الروح القدس الذى هو الله الثالث (الإله الثالث) عصم كتاب التوراة والأناجيل كما يدعى الأرثوذكس تماماً. فهل هـذه الدعوى من الأرثوذكس والكـاثوليك صحيحـة أم دعـوى كاذبـة ؟" شـفاء العليل، ص ٧٠، الجوينى.

ومالنا إلا أن نقول قوله تعـالى : "لو كـان مـن عند غير اللـه لوجـدوا فيـه اختلافاً كثيراً" والاختلاف والتناقض فى التوراة والأناجيل لا تخفى علـى كـل دارس وقارئ لهما. راجع الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.

(٢) المقدونية : دعيت هكذا، وبصورة مغلوطة، بالنسبة إلـى الأسـقف مقدونيـوس الذى من القسطنطينية، فى أواسط الجيـل الرابـع، المقدونيـة هـى تعليم لاهوتـى يؤكـد أن الروح القدس – الذى كان حتى ذلك الوقت قد وضع، بدون نظره لاهوتيـة خاصـة إلى طبيعته، على مستوى واحد الآب والابن – ليس سوى خليقة أو على الأقـل، أن الكتاب المقدس لم يظهر عملـه كعمـل إلهـى (أى عمل أقنـوم إلهـى). ولذلـك دعـى اتباع هذه العقيدة فى اليونانية محاربى الروح. وكان غيرهم يرون فى الروح شـكلاً مـن الكائنـات الوسطوية بيـن اللـه والخلـق وهـذه الميـول التـى ولـدت فـى ركـاب الأريوسية قد أدانها المجمع القسطنطينى الأول حيثكان يمثلهـا ستة وثلاثـون أسـقفاً. معجم اللاهوت الكاثوليكى.

(٣) تنكر الثالوث وهم أتباع سابليوس، وعقيدة السابيليون حرمتها روما نـراه فـى مصـر حـول السـنة ٢٥٧. وهـذه العقيـدة هـى شـكل مـن المونارشيانيسـم (أو المودالـيسـم : فالثالوث ليس سوى مثلث للصلات بالعالم (طرق ظهور الإله) لأنـه هـو بحد نفسـه إله وحيد مطلقاً. معجم اللاهوت الكاثوليكى.

(٤) كانت الأريوسية تعلم أن الكلمة (اللوغوس) ليس أزليـا كـالأب، إنمـا أوجـده الآب مباشرة قبل الزمن كما لم يفعل لسائر المخلوقات: إنما الابن ليس مـن جوهـر الآب.

وضد العقيدة المسيحية هذه كما صيغت أقام الكندى الحجة على أن عقيدة التثليث تتضمن التركيب وكل ما هو مركب لا يمكن أن يكون خالداً، وعلى هذا الاعتراض يقدم الكندى ثلاثة براهين :

الأول : يضع الكندى بوضوح قول مثل قول يوحنا الدمشقى فى فكره، يعنى أن كل أقنوم يكون شخصاً(٩) وأن الأقانيم تختلف عن بعضها البعض الآخر بصفات أو مميزات(١٠). يقول الكندى "أنهم يعنون بالأقانيم أشخاصاً ويعنون بالأقنوم الواحد الأقنوم الذى يكون فيه كل أقنوم من الأقانيم موجود

فهو هكذا مخلوق ومولود معا. إنه ليس إلهاً إلا بالمشاركة ومثلنا هو الوسيط بين الله والعالم ولكى يتألم، غدا الكلمة إنساناً كاملا بمعنى أن الإنسان فى المسيح اتخذ الكلمة مكان النفس البشرية فيسوع لم يكن له نفس بشرية. هذه التعاليم قد حرمت فى المجتمع النيقاوى الأول سنة ٣٢٥ ولكنها وجدت دعما قوياً من أتباع أوزب (أسقف نيكوميديا) المقربين من بلاط القسطنطينية وهذا كلف أثناسيوس التقى عدة مرات بصفته المدافع الأول عن المجتمع النيقاوى. ومات الأمرض انقسم الأريوسيون إلى أقسام عديدة : أريوسيون متطرفون (يقولون بأن المسيح عديم الشبه مطلقاً بالآب من هنا كلمة "انوميون")، وأريسيون متوسطو اللهجة (يقولون بأن المسيح هو شبيه بالآب وهم الهوميون)، وأخيراً أريوسيون توفيقيون وهم قريبون من تعليم النيقاوى (يقولون بأن الإبن هو من جوهر الآب عينه أو أنه من جوهر شبيه بجوهر الآب وهم الهومويوسيون أو الهوموادسيون). ولقد دمرت هذه التعاليم نهائيا فى مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١، لم تكن الأريوسية بدعة خطره فقط (عند المسيحيين) بل مؤشر أخطار يقصد منها تسييس اللاهوت انطلاقاً من قسطنطين. معجم اللاهوت الكاثوليكى كارل راهنر هربرت فورغريملر نقله إلى العربية المطران عبده خليفة. وكان التجانس على هذا المذهب. وهم أتباع أريوس القديس الذى ولد فى ليبيا القيروان سنة ٢٧٠م وظل فى شبابه المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية، ثم رسمه البابا بطرس بطريرك الإسكندرية شماس سنة ٣٠٧م ثم قساً وواعظاً، وكان ذكياً فصيحاً وكان يقول : "إنه يؤمن بإله واحد متعال يفوق حد التصور، منطو على نفسه، وهو من العلو بحيث لا صلة له بتاتاً بأى شئ له نهاية، وهو فريد لا شبيه له. أزلى لا بداية له، لا يموت صالح وهو وحده سبحانه ينفرد بهذه الصفات. وعندما شاءت إرادته أن يخلق عالما له نهاية احتاج إلى وسيط ولم يكن فى هذا الوسيط قوة خالقة. وإنما كان عاملاً بسيطاً علمه الآب كيفية القيام بهذه المهمة. وعلى ذلك فإن القوة الخالقة من صفات الآب، أعطاها للإبن فأوجد هذا بها المخلوقات ... الخ. هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى، ص ٢٤٩، ملحوظة ٣ فى الهامش بن قيم الجوزيه.

فى خاصيته(١١). واستمر فى القول : "وتبعا لذلك فإن فكرة الجوهر توجد فى كل واحد من الأقانيم ولها نفس المعنى فى كل واحد منهم، وكل واحد من الأقانيم، أزلى فيها وتميز كل أقنوم عن الأقنوم الآخر يتبع ذلك أن كل واحد من الأقانيم يتركب من جوهر عام لهم جميعاً، وخاصة تكون خاصة لكل واحد منهم[١] . وكل شئ مركب يكون أثر السبب[٢] ، والأثر لسبب لا يكون أزلياً. يترتب على ذلك أن الأب لا يكون أزلياً ولا الإبن ولا الروح القدس، من هنا فالأشياء المفترض كونها أزلية ليست أزلية، وهذا مستحيل عقلاً[٣] (١٢).

فى تفنيده قبل يحيى تفسير الكندى للأقانيم الثلاثة كأشخاص(١٣)، يعنى كأشياء حقيقية لها جوهر عام، يعنى أصل عام، ويختلف الواحد عن الآخر بخواصه المعتبرة، من هنا فإن كل واحد منهم مركب من أصل (جوهر) وخاصة. مازال يؤكد – يحيى بن عدى – أن الأقانيم الثلاثة يمكن أن تكون أزلية؛ فقال إن هذا الذى يكون مركباً من أجزاء ووجد مسبقاً منفصلاً لا يمكن

---

(١) يرفض الكندى هذا القول على الله لأن الله عنده ليس نوعا ولا جنسا ولا فرداً لنوع ... وهذا القول يعنى أن انه له صفة النوعية وخاصة التى تميزه عن بقية أفراد النوع وهى الابن والروح القدس وما يقال عليه يقال عليهما.

(٢) لأنه يحتاج إلى من ركبه.

(٣) ما قال به الكندى قياس من الشكل الأول استوفى شروطه ونتيجته صحيحة بالنسبة لمقدمات القياس حيث أن القياس استوفى شروطه من إيجاب الصغرى وكلية الكبرى ونظمه هكذا :

كل شئ مركب أثر لسبب.

كل ما هو أثر لسبب ليس أزلياً

ينتج كل شئ مركب لا يكون أزلياً، قياس من الشكل الرابع استوفى شروطه

كل واحد من الأقانيم مركب الاختلاف فى الكيف مع كلية أحدهما.

ينتج لا يكون أزلياً كل واحد من الأقانيم أى لا واحد من الأقانيم أزلياً (لأنه مركب من الجوهر والخاصة) وهو ينقض فرض أن كل واحد من الأقانيم أزلى. فما أدى إلى التناقض يكون فرضه باطلاً.

أن يكون أزلياً، لكن لا يوجد سبب لا يكون الشئ المركب أزلاً من أجزاء لا يوجد جزء منها منفكاً عن الآخر أزلياً[١] . ما وجد منفصل أجزاءه أبداً. يورد على سبيل المثال : "إذا قصدت بكلمة مركب هذا الذى قدم بعملية تركيب، إذا هذا، على عقيدتى، شئ بسبب ومخلوق وليس أزليا، وبرهانك ينطبق على هذا، وكذلك فى كل حالة أخرى مثل هذه الحالة. مع ذلك لا يوافقك المسيحيون أن الأب والابن والروح القدس قدموا نتيجة لتركيب الجواهر والخواص، لأنهم فقط يقولون أن الجوهر موصوف بكل واحدة من هذه الصفات الثلاثة وأن هذه الصفات أزلية، بدون أن تقدم فيه بعد أن لم تكن[٢](١٤).

من الملاحظ أن هذا النوع من الجدل استعمله الغزالى فيما بعد للإجابة على اعتراض مماثل ضد وجود صفات قديمة حقيقية قائمة بالله تعالى[٣] ، كما ناقش الغزالى لماذا يستحيل القول كما أن جوهر هذا الذى هو واجب الوجود قديم أزلى ليس له سبب فعال، كذلك أيضاً أى صفة له موجوده معه منذ الأزل قديمة وليس لها سبب فعال[٣] (١٥).

---

(١) أى أن الله مركب من واحد وثلاثة منذ الأزل فهو واحد وثلاثة أزلاً وهذا لا يعفى يحيى بن عدى من التسليم باحتياج المركب إلى مركب أو إلى خالق خلق هذا التركيب بهذه الطبيعة التركيبية كالشمس التى بطبيعتها المخلوقة لها يصدر منها الضوء والحرارة وغير ذلك مما فى طبيعته الخلقية التركيب، إلا إذا سلم بأن الأقانيم صفات قديمة له (للذات) لا تنفصل ولا تستقل عنه لتكون ذات مستقلة عن الأخرى، وهذا ما لا يقول به المسيحيون.

(٣) الغزالى تهافت الفلاسفة، ص ١٧١، ط ٣.

(٣) قال الغزالى بالكثرة من ذات الوجه أن الله له صفات قديمة وليس كثرة مطلقة، وقال الغزالى فى إثبات كون الصفات قديمة وليس لها علة فاعلة فى رده على الفلاسفة بقوله : "إن أردتم بواجب الوجود أنه ليس له علة فاعلة فلم قلتم ذلك - قولهم استحالة الغرض الذى يكون فيه أحدهما. الصفات والذات - محتاجاً إلى الآخر - وما استحال أن يقال : كما أن ذات واجب الوجود قديم ولا فاعل له فكذلك صفته قديمة معه ولا فاعل لها. تهافت الفلاسفة، ص ١٧٣، ط الخامسة. يريد Walfson هنا أن يبرهن بما قاله الغزالى على وجود الكثرة فى الواحد ولا يعنى ذلك أنها تحتاج إلى مركب كما قال الكندى، والفرق بين ما قال به الغزالى وما

الثاني : يشير إلى احصاء فرفريوس فى ايساغوجى(١٦) فى كلياته الخمسة[١] فى القضايا المنطقية، يختصر الصيغة التثليثية لقضية منطقية يكون فيها القول "الجوهر الواحد" موضوعاً، والقول "أقانيم ثلاثة أزلية" محمولاً، وربط الموضوع والمحمول بفعل رابط هو "يكون" حينئذ سأل نفسه، "ما هى صفة القانيم الثلاثة الأزلية التى حملت على الموضوع ؟ هل هى أجناس(١٧)؟ هل هى أنواع ؟(١٨) هل هى فصول ؟(١٩) هل هى أعراض بالمعنى العام للكلمة (أعراض عامية) ؟(٢٠) هل هى أعراض بالمعنى الخاص للكلمة (أعراض خاصية) يعنى القول خواص ؟(٢١). أضاف إلى ذلك أيضاً السؤال عما إذا كانت بعض الأقانيم أجناساً والبعض فصولا أو أنواعاً(٢٢)، أو عما إذا كانت كلها أشخاصاً لأنواع(٢٣). يبين الكندى أن الأقانيم لا يمكن أن تؤخذ على أنها واحدة من هؤلاء، وأن هؤلاء - على فرض أخذها على أنها واحد منهم - فكل واحد أى كل واحد من الأقانيم، وهو مفترض أن يكون أزلياً، سيكون مركباً من أجزاء يعنى، من موضوع ومحمول، وكما استنتج منقبل لا شئ مركب من أجزاء يكون أزلياً[٢] .

قصد به Walfson به دليلا على وجود الثلاثة فى الواحد واضح فالغزالى يثبت صفات قديمة لنهوان كانت كثيرة بهذا المعنى إلا أنها لا تعنى كثرة فى الذات بما يصبح به فصل أحدهما عن الآخر فى ذوات مستقلة. فالأب والإبن والروح القدس كل منهم جوهر مستقل عند المسيحيين.

(١) الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام فكل واحد منهم كلى ينطبق على كثيرين.

(٢) استعمل الكندى ما يشبه هذا الدليل لإثبات تناهى العالم وبالتالى حدوثه والذى يتضمنه دليل حدوث العالم عند الكندى أنه لو فرض قدم العالم وكان العالم مركب من أجزاء - وهى محتويات العالم المتناهية - يكون الأزلى مركب من أجزاء. والمركب من أجزاء لا يكون أزلياً وهو مناقض لفرضه قدم العالم.

في رفض يحيى لهذا البرهان كرر اعتقاده السابق أنه ممكن أن يكون أزلياً مركباً غير معلول[١] (٢٤). بالإضافة إلى هذا البرهان العام رفض يحيى بغير شروط كون المسيحيين يعتبرون الأقانيم أجناساً(٢٥)، أو أنواعاً(٢٦)، أو كما سمى الكندى أعراضا بالمعنى العام للكلمة[٢] (٢٧)، مع اعتبار – مع ذلك – ما سماه الكندى أعراضا بالمعنى الخاص للكلمة، يعنى أن نقول "خواص"، يقول يحيى : "لا يقول المسيحيون أيضاً أن الأقانيم أعراض بالمعنى الخاص للكلمة، لأن، بينما يطبقون عليهم لفظ خاصة، لا يعنون بذلك أنها أعراض[٣] ، في الغالب يعتبرون كل واحد من الأقانيم جوهراً"(٢٨)، الذى يعنى به ما سماه أرسطو "الجوهر الأول"، يعنى، الفرد[٤] (٢٩).

---

(١) أى أنه مركب منذ الأزل لا إنفصال فيه البته، ولنا أن نقول أما لأنها صفات للذات فهكذا هو ولكن ماذا بعد الانفصال فيما بعد والاستقلال بذات عن ذات أو التبدل والتغير من حال إلى حال مع اختلاف معتقداتهم.

(٢) أى صفات كلية يمكن أن تنطبق على عدة أشياء، أى أنها صفات كلية عامة.

(٣) وذلك لأن الأعراض حادثة فى الذات لأنها متغيرة وزائلة وليس لها وجود مستقل عن الذات وهو ما يخالف قول المسيحيين فى الأقانيم.

(٤) الجوهر الأول عند أرسطو أو الجوهر الحقيقى هو الماهية باعتبارها صورة لا الجوهر باعتباره مركبا من الاثنين الصورة والهيولى والجوهر عند أرسطو هو ما لا يحل فى موضوع، أى الذى يوجد فيه غيره، ولا يوجد هو فى غيره، وارسطو يستعمل الجوهر بمعان ثلاثة : الأول باعتبار أنه الصورة، والثانى باعتبار أنه الهيولى والثالث باعتبار أنه المركب من الاثنين، ويذكر عبد الرحمن بدوى "إذ يلاحظ أولا أن تعريف الجوهر بأنه صورة، يتفق مع فلسفة سقراط وأفلاطون التصورية، التى سلم بصحتها أرسطو؛ فإن الموجود الحقيقى فى الواقع هو ماهية الشئ والعلم لا يتعلق إلا بالكليات، والماهيات هى وحدها الكليات .. فعلى هذا يجب أن يكون الجوهر الأول أو الجوهر الحقيقى هو الصورة لا المركب من الصورة والهيولى. ثانيا : إن تعريف الجوهر بأنه الهيولى، مصدره أن أرسطو عرف الجوهر بأنه ما لا يحل فى موضوع، أى ما يكون موضوعاً للأعراض أو للأشياء الأخرى بوجه عام. وهذا التعريف – فى الواقع – يضطره اضطرارا إلى القول بأن الهيولى هى أيضا جوهر، لأن الهيولى تتعاقب عليها الصور ولا توجد فى موضوع، أى أنها مما ينطبق عليه أنه "ما لا يحل فى موضوع"، وهذا هو تعريف الجوهر. ولكن الجوهر من ناحية أخرى هو الموجود، والموجود بالأولية والأولوية. فأرسطو يقول من ناحية أخرى إن الهيولى لا وجود، فكيف يتأتى إذن –

فى قول يحيى أن المسيحيين يطبقون لفظ "خاصة" على الجواهر إشارة إلى إختلافات عدة للفظ "خاصة" استعملها باسيل Basil كالذى سماه "أساس الاختلاف" بذلك تتميز الأقانيم بعضها عن البعض الآخر(٣٠)، بالمثل بالنسبة لوصف الأقانيم كأشخاص، قال يحيى بحذر :"لم يقل المسيحيون كذلك أن الأقانيم أشخاص بالمعنى الذى قال به الكندى لهذا اللفظ"[١] (٣١).

وراء هذا التصريح الحذر ليحيى كان الرأى الذى ساد خلال تاريخ مناقشة التثليث أن فكرة الأرثوذكس عن حقيقة الأقانيم تعنى أنهم فهموها كأشخاص، فقط أفراد بمعنى أنواع شخصية(٣٢).

كما يتساءل عبد الرحمن بدوى – أن يكون الموجود، الذى هو الموجود بمعنى الكلمة ولأعلى درجة، وفى قمة الأشياء الوجودية أو الايجابية، وقال إن هذا تعبير أرسطو نفسه، ثم تساءل كيف يتأتى إذن أن يكون هو أيضاً "لا وجوداً" ؟ وقال عبد الرحمن بدوى "أن هذه مشكلة اعترضت طريق أرسطو، ولم يستطع هو أن يتخطاها أو يظفر بحل لها". وقال : "ويلاحظ ثالثاً أن الجوهر إذا كان مركباً من الاثنين – أى إذا كان هيولى وصورة معا – فإنقيمة الهيولى فى إضافتها للصورة هى فى إعطائه صفة التفرد أو الفردانية فحسب، لأن الصورة – من حيث هى صورة – واحدة وما يميز بين الصور بعضها وبعض، هو دخول الهيولى عليها. .. وموضوع العلم الحقيقى هو الكلى، فإذا كان الجوهر هو الموضوع الحقيقى، فيجب أن يكون كليا لكى يكون موضوعاً للعلم. فإذا كان العلم عند المتاليين – وأرسطو على رأسهم – هو الذى يدل على الموجود وكان العلم علما بالكلى، فالموجود (الحقيقى) إذن – كما استنتج عبد الرحمن بدوى – هو الجوهر باعتباره كليا"، وقال : "فيجب تعديل هذه الناحية إذن، واعتبار الجوهر هو الصورة، لأن الصورة هى وحدها الكلى". وعلى هذا ذهب عبد الرحمن بدوى على أساس التفرقة بين الجواهر أن الجوهر الأول أو الجوهر الحقيقى، الماهية باعتبارها صورة، لا الجوهر باعتباره مركبا من الاثنين". فإذا عنى يحيى بن عدى ما عناه أرسطو بهذا الاعتبار فى معنى الجوهر الفرد يكون كل أقنوم له وجود حقيقى باعتبار الصورة لا الجوهر باعتباره مركباً.

(١) أى الخاصة التى تميز أفراد النوع عن بعضها.

ثالثاً : يضع الكندى بوضوح نصب عينيه تصريح أرسطو فيما بعد الطبيعة أن لفظ "واحد" يعنى لفظ "نفس" هو هو[١] (٣٣)، وينسحب مباشرة على تصريح أرسطو فى "الجدل" Topics أن "نفس" استعملت إما فى "الأنواع" أو "الأجناس" أو "العدد"(٣٤) جادل الكندى ضد الاعتقاد المسيحى "الثلاثة واحد والواحد ثلاثة" على قول أرسطو هذا كما يلى : "إن الذى ندعوه واحداً ونفساً هو هو واحد" ندعوه واحداً فقط فى ثلاث معانى، كما قيل فى كتاب الجدل "الكتاب الخامس لأورجانون أرسطو"، يعنى، سمى واحد ونفس فى العدد، كما تسمى الوحدة واحدا، أو يسمى واحد ونفس بالأنواع مثل خالد وزيد يكونان واحداً بالنوع، لأنهما يقعان تحت نوع واحد عام وهو الإنسان أو سميا واحد ونفس بالجنس كإنسان وفرس "ass" لأنهما يندرجان تحت جنس عام واحد وهو حيوان"(٣٥)، إذن يبين - يحيى - كيف أن وحدة الأقانيم الثلاثة لا يمكن فهمها بأى من هذه المعانى الثلاث التى عددها أرسطو ضد المعنيين الأخيرين للواحد، والواحد بالجنس.

كرر الكندى برهانه السابق أن الواحد لهذين المعنيين يتضمن التركيب ومن هنا لا يمكن أن يكون أزليا(٣٦). ولكن ضد المعنى الأول للمعانى الثلاث التى قال بها أرسطو للواحد، الواحد بالعدد، يذكر الكندى برهانا جديداً، يبدأ فيه بتصريح أن الثلاثة تكون كثرة لواحد وأن الواحد جزء لثلاثة، قال الكندى شيئاً ليظهر أن اثبات الثلاثة والواحد لموضوع واحد "مناف للعقل وبغيض وواضح الاستحالة"(٣٧).

قدم يحيى اعتراضاً أكثر كمالا ووضوحا باسم هؤلاء الذين يدعوهم "خصوم المسيحيين" فى عمل آخر له حيث يقرأ هكذا : "الموضوع واحد -

---

(١) انظر الشفاء المنطق - الجدل، ص ٢٩٣، فى مواضع هو هو، د./ ابراهيم مدكور، تحقيق أحمد فؤاد الأهوانى.

تبعاً لرأيهم" - لا يمكن وصفه بألفاظ متناقضة، لكن ثلاثة في معناه مناقض لمعنى واحد، حيث أن ثلاثة كثير وواحد ليس كثيراً؛ واحد يكون مبدأ الثلاثة وكل عدد، لكن ثلاثة ليس مبدأ لنفسه أو لأى عدد آخر؛ الثلاثة تنقسم، لكن واحداً لا ينقسم - أصبح واضحاً، استنتجوا أن هذين الخبرين، أى ثلاثة وواحد، متضادان، وحيث أن المسيحيين يطبقون كل منهما على نفس الموضوع فى نفس الوقت يتبع ذلك بالضرورة أن صيغتهم متناقضة وعقيدتهم لا أساس لها"(٣٨). بمعنى آخر حاولوا أن يبينوا أنه بإثبات كليهما لله "واحد" و "ثلاثة" يثبت المسيحيون لله وينفون عنه نفس المحمول الواحد؛ لأن بقولهم إن - الله - ثلاثة، يؤكدون أنه - تعالى - كثير - متعدد (يمكن تعدده وانقسامه) لكن بالقول أنه واحد فقد أهملوا أنه كثير وغير قابل للتعدد والإنقسام، وبذلك ينتهك المسيحيون قانون التناقض كما قال به أرسطو، الذى يقول فيه : "من المستحيل لنفس الشئ أن ينتسب إلى ولا ينتسب إلى، فى نفس الوقت، لنفس الموضوع بنفس الاعتبار"(٣٩).

يجب ملاحظة كيف أنه فى العبارة السابقة أن الخصوم - لكى يبينوا أن إثبات أن الله كلاهما "واحد" و "ثلاثة" هو ما وصفه أرسطو "كتناقض" يغيرون كلمتى "ثلاثة" و "واحد" بكلمتى "كثير" و "ليس كثير"، "مبدأ العدد"، "وليس مبدأ العدد" و "يقبل الإنقسام" و "لا يقبل الإنقسام". وهذا يعكس قول أرسطو للنتيجة أن : [١] "التناقض" هو الذى بتضمن "إثبات" و "نفى" لنفس الموضوع(٤٠). وأنه : [٢] كلما كان لأى زوج من المتناقضين وجود أى واحد منهما عدم وجود للآخر. ومن هنا بمعنى معين نفى الآخر، قانون التناقض يطبق أيضاً على الضد(١) (٤١). هذا هو القانون الذى يشير إليه

---

(١) من حيث عدم اجتماع الضدين لموضوع واحد كما هو قانون التناقض فالتناقض والتضاد يحكمهما قانون واحد فى حالة الجمع دون حالة الرفع فى حالة وجود

الخصوم بحق أنه فى حالة إثبات أن الله هو كلاهما "واحد" و "ثلاثة" واحد بمعنى "ليس كثرة" وضده ثلاثة بمعنى "كثرة" الإثبات يكون متناقضاً.

بدأ يحيى فى تفنيده لهذا الإعتراض بإنكار كون المسيحيين يستعملون لفظ "واحد" بأى معنى من المعانى المقتبسة أعنى التى أقتبسها الكندى من كتاب الجدل(١) ، واضاف أن تصنيف معانى لفظ "واحد" كما قدمه الكندى يكون ناقصاً(٤٢). عندئذ يقدم بعض المعانى الأخرى لكلمة "واحد" وكذلك لضد هذا اللفظ "كثير" اختار اثنين منها كتفسيرين مناسبين للفظ "واحد" كما هو مستعمل فى صيغة التثليث"(٤٣).، أخيراً حاول أن يبين أنه على أساس تفسيره لاستعمال اللفظين "واحد" و "ثلاثة" لا تتضمن صيغة التثليث تناقضاً. لأنه يقال إن الله "واحد" من جهة أو وجهة، يعنى القول، بالإشارة إلى الجوهر، ويقال إنه "ثلاثة" من جهة أخرى أو من وجه آخر، يعنى بالإشارة إلى الأقانيم"(٢)(٤٤).

الوسائط فى التضاد، فالأبيض والأسود لا يجتمعان على موضوع واحد ولكن يمكن رفع كلاهما لوجود الألوان الأخرى غير الأبيض والأسود فيمكن أن يكون الموضوع ليس ابيضاً ولا اسوداً بأن يكون أخضراً مثلاً، أما إذا كان الوسائط غير موجودة بين المتضادين فالحكم فيهما يكون كالحكم فى التناقض تماماً، وعلى ذلك فالواحد والكثير الحكم فيها كالحكم فى الواحد وغير واحد، أو كثير وليس كثيرا فهما لا يجتمعان ولا يرتفعان بالنسبة للموضوع الواحد. فإنه ليس بين الواحد والكثير وسائط.

(١) أى أن المسحيين لا يطلقون على الله "واحدا" بمعنى واحد بالعدد أو بالفرد لنوع أو بالنوع لجنس.

(٢) أى أن الله واحد من جهة الجوهر ثلاثة من جهة الأقانيم فالجهة هنا مختلفة، والكثرة من جهات مختلفة لا يقول بها أحد من المسلمين متكلمين كانوا أم فلاسفة فالله عند ابن سينا مثلا (واحد من جهة تمامية وجوده وواحد من جهة أن حده له وواحد من جهة أنه لا ينقسم لا بالكم ولا بالمبادئ المقومة له ولا بأجزاء الحد، وواحد من جهة أن لكل شئ وحدة تخصه ولها كمال حقيقته الذاتية، وأيضا هو واحد من جهة أخرى، وتلك الجهة هى أن مرتبته من الوجود وهو وجوب الوجود ليس "إلاله"، ابن سينا النجاة القسم الإلهى، ص ٢٣٠.

ما فعله يحيى حقيقة هو تذكير خصمه أنه طبقا للصيغة الكاملة لقانون التناقض عند أرسطو، أن الشئ نفسه لا يمكن أن يثبت (وينفى عن نفس الموضوع فى نفس الوقت، فقط عندما يكون الاثبات والنفى طبقاً لنفس Ckata' to anto)(٤٥). التى هى الترجمة العربية لميتافيزيقا ترجع إلى كل جهة "بكل جهه"(٤٦).

المعانى المختلفة للفظ "واحد" التى عددها يحيى والتى على أساسها رد اعتراض الكندى ستة معانى، أسست جميعها على قول أرسطو. الإثنان اللذان برهن عليهما كشروح للفظ "واحد" فى الصيغة التثليثية كما يلى :

[١] واحد بالمعنى الذى يقال للأشياء التى تسمى بأسماء عدة ولكن صيغتها التعريفية المحددة التى تعنى ماهيتها أو أصلها يكون واحداً على سبيل المثال "الخمر Wine" لها فى العربية اسمان خمر وشمول، وكذلك "حمار" له اسمان عربيان هما حمار وعير، و "جمل" له اسمان عربيان هما جمل وبعير(٤٧). مثال شابه استعمله يحيى فى عملين من أعماله الأخرى هى "الانسان" الذى له فى العربية مثل اللغات الأخرى اسمان هما انسان وبشر ولكن ماهيته أو جوهره، كما عنيت بالصيغة التعريفية (حيوان فانى عاقل) يكون واحداً(٤٨). فى كل هذه الأمثلة الكثرة كثرة فى الأسماء والوحدة وحدة الصيغة التعريفية أو الجوهر. فى العبارة المماثلة عند أرسطو، استعملت الأمثلة لتفسير أن ما هو واحد فى الصيغة التعريفية (Logos) أوفى الأصل لكنه كثير فى الأسماء، هى خمر التى استعمل لها كلمتان يونانيتان methu oinos (٤٩). وعباءة "garment" التى استعمل لها كلمتان يونانيتان Lopions imotion (٥٠).

[٢] واحد بمعنى "واحد فى الموضوع وكثير فى صيغته التعريفية - الحدود - يعنى أن نقول، واحد تؤكد على الموضوع الواحد وكثير - تؤكد على الصيغة التعريفية، التى توافق فى العدد عدد المعانى الموجودة فى هذا الموضوع الواحد والتى هى صيغة تعريفية لهذه المعانى. لتعرف زيد، على سبيل المثال، بالرغم من أنه واحد فى الموضوع، يمكننا أن نثبت له اللفظ الحدى أو التعريفى حيوان واللفظ الحدى بشرى واللفظ الحدى عاقل(٥١). أساس هذا المعنى "لواحد" هو قول حاول به أرسطو أن يبين أن أجزاء التعريف (orismos) ، يعنى الجنس والفصول، كثيرة، وهكذا أثار السؤال عما يؤلف وحدة الحد(٥٢)، والجواب الذى اعطاء أرسطو هو أن "الحد هو صيغة مفردة 'logos'" التعريف صيغة مفردة (logos) والصيغة "يجب أن تكون صيغة بعض لشئ واحد (enos tinos)، التى تكون "هذا tode li"(٥٣)، يعنى أن تقول إنه واحد لأنه تعريف أو صيغة تعريفية لموضوع واحد.

لكن دعنا نفحص هذين التفسيرين لنرى ما الذى يتضمنا.

بالنسبة للتفسير الأول، استعمال "واحد" فى الصيغة التثليثية عدلت على أساس أن كثرة الأقانيم مثل كثرة الكلمتين العربيتين التى سميت بهما الخمر، أو الكلمتين العربيتين الذى سمى بها الإنسان إذا أخذنا هذا التفسير حرفياً يعنى أن الأقنوم الثانى والثالث مجرد أسماء وليسا حقيقة[١] ، وهذا يجعل يحيى من أتباع سابيلوس[٢] . لكننا رأينا أعلى أن الأقانيم بالنسبقله جواهر(٥٤) وأشخاص (أفراد) أنواع(٥٥)، يعنى كائنات حقيقية[٣] .

(١) أى ليس لها وجود حقيقى فى الخارج.

(٢) رأى سابيلوس أن القديم هو جوهر واحد له ثلاثة خواص، الشهرستانى، جـ ١، ص ٢٠٨، الملل والنحل.

(٣) وبهذا يرى Walfson ضعف تفنيد يحيى لهذا الاعتراض على الوحدة والكثرة فى الله وذلك الأسماء المحمولة على موضوع واحد لا تنفصل عنه لتكون ذاتاً مستقلة.

بالنسبة للتفسير الثانى استعمال "واحد" فى الصيغة التثليثية عدلت على أساس أن الكثرة فى الأقانيم مثل الكثرة فى المعانى، يعنى الحيوانية والعقلانية والفنائية [التى تحمل على موضوع واحد فى القضية الحديث "زيد بشرى عاقل حيوان] قال بها يحيى للتأليف to consist . الآن بينما مصطلح "معانى" الذى استعمله المسلمون الصفاتية بمعنى "أشياء"(٥٦). استعملها يحيى هنا بوضوح بمعنى مفاهيم – أو أفكار – لأنه لو استعملها بمعنى أشياء حينئذ سيكون سبب قبوله هذا التفسير نقيضا موجها لسبب قبوله التفسير السابق. مرة ثانية إذا أخذ هذا التفسير حرفياً، يعنى أن الأقانيم مجرد أفكار عقلية وليس لها وجود حقيقى، كان مناقضا لتأكيد يحيى السابق[١] .

ظهرت صعوبات مشابهه من محاولة يحيى فى بعض كتابات أخرى له لشرح التثليث بأنواع أخرى من الأقيسة. أحد الأقيسة التى استعملها هو وهذه القضية "زيد أب طوله أربعة أذرع وطبيب"(٥٧). القياس الثانى هذه القضية "زيد طبيب ومهندس وكاتب"(٥٨). القياس الثالث المرآتين تواجه أحدهما الأخرى، كل صورة فى المرآة الأولى سوف تنعكس فى المرآة الأخرى وهكذا ينتج فيها صورة (ب). صورة "ب" هذه سوف تنعكس بدورها فى المرآة الأولى، وهكذا تنتج فيها صورة "جـ" هذه الصورة أ ، ب ، جـ ثلاثة طالما أن كل واحدة منها متميزة عن الواحدة التابعة لها بكونها لها علاقة بها (مرتبطة بها) كسبب لأثر، لكنها واحدة طالما كصور ب ، جـ إنعكاسات فقط

(١) الذى يقول بوجود حقيقى للأقانيم وليس إسمي.

للصورة " أ "(١) (٥٩). من الملاحظ أن هذا القياس يظهر عند أبيقور(٢) Abu Qurra (٦٠). وعند أفلوطين(٣) من قبله (٦١). القياس الرابع في العقل وعمل العقل (عاقل) وموضع العقل (المعقول)، هذه الثلاثة يمكن تمييزها الواحد من الآخر ومع ذلك فهم يؤلفون جوهراً واحداً"(٤) (٦٢). القياس الخامس طرود على حافة سفينة متحركة. من جهة، يمكن وصف هذه الطرود بأنها متحركة، ولكن من جهة أخرى يمكن وصفها بأنها ساكنة(٥) (٦٣).

---

(١) أقول قول أرسطو فى إبطال صورة أفلاطون، قال أرسطو "يلاحظ أن شيئاً مشتركا بين الصورة ومشابه الصورة أو نسختها، فلابد حينئذ من أن نضع صورة لهذه الصورة، وبذلك تصبح الصورة متصفة بصفتين متناقضتين، فتكون حينا صورة حقيقية، وحينا آخر نسخة وهمية للصورة، وهذا معناه أن القول بالصورة .. يفضى بنا إلى نتائج متناقضة، وهذا يؤذن بأن الأصل متهافت". أرسطو، د./ عبد الرحمن بدوى، ص ١١٤.

(٢) أبيقور أحد فلاسفة اليونان. نشأ فى جزيرة ساموس واستقر فى أثينا وافتتح بها مدرسة، وكان له أتباع كثيرون عرفوا بفلاسفة الروض أو الحديقة، وذلك لأنهم كانوا يجتمعون للدرس فى حديقته.

(٣) فيلسوف ولد بأسيوط سنة ٢٠٥م وهلك سنة ٢٧٠م مؤسس الأفلاطونية الجديدة ألم بفلسفة الهند وفارس، من مؤلفاته التاسوعات، اشتهر بنظرية الفيض التى تفسر الخلق بأن الله الواحد فاضت عنه المخلوقات، انظر الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٨٢.

(٤) قال الفارابى وقد قرأ عليه ابن عدى أن الله عقل بالفعل بعقل ذاته عن طريق ذاته لأنه تام وكامل بذاته لا يحتاج إلى شئ آخر عن طريق يتم تعقله لذاته، لأنه توجد هوية تامة فى ذات الله بين العاقل والمعقول والعقل فالله عاقل من جهة ما يعقل، ومعقول من جهة ما يعقله، وعقل من حيث هو يعقل ذاته ولا فرق بين التعقل والعقل والمعقول. فيصل عون الفلسفة الإسلامية فى المشرق، ص ٢٤٧.

ولكن الفارابى لا يعنى بذلك كثرة فى الله فأسماء الله الكثيرة تدل على جوهر واحد ووجود واحد غير منقسم أصلاً : "المدينة الفاضلة، ص ٢٣"، حتى أن الفارابى لا يمنع أن نطلق الأسماء على الله ما دامت تدل على الكمال الإلهى وتنفى عنه النقص.

(٥) هذا تمويه فهذه الطرود ساكنة بنفسها والمتحرك هو ما يحملها ولا يقال انها ساكنة متحركة من جهات مختلفة لأن المتحرك هو المتحرك بنفسه لا بغيره وهذا يعنى الاحتياج إلى المحرك والمسكن.

الآن القياس الأول والثـانى مـن هـذه الأقيسـة توافـق مـا يسـميه أرسـطو "واحداً بالعرض" فسرها بهذا التعبـير "كورسـيكوس الموسـيقى المسـتقيم"(٦٤). لكن لم يعن يحيى بالتأكيد عن طريق هذه الأقيسة اعتقاد أن الأقـانيم أعـراض. أما بالنسبة للأقيسة الثلاثـة الأخيرة، فمـن الواضـح تماماً أنـه بـالرغم مـن أن الوحدة والكثرة فى كل واحد منها يمكن وصفها، الكـثرة التى تخلـو كـل واحـد منهـا لهـذا النـوع مـن الحقيقـة، التـى تبعـا لعقيـدة المسـيحيين الأرثوذكـس فـى التثليث(١) ، مطلوب بكثرة الأقانيم.

إذن ما هى فكرة يحيى عن الثالوث، وكيف يمكننا تحديدها ؟

أسس يحيى نفسه فى أحد أبحاثه الأخرى الإجابة لهذا السؤال، فـى هـذا البحـث اقتبـس يحيـى أولا قـول خصـم مجهـول للمسـيحية يقـول إن كـل المسيحيين، يعنى كل المسيحيين الأرثوذكس اتفقوا على الصيغة "ثـلاث أقـانيم، جوهر واحد"(٦٥) ثم اقتبسه كمجادلة كما يلى : "إذا زعم المسـيحيون أن الأب مثل الشمس التى تنير بضوئها وتدفئ بحرارتها، وأن الابن مثل شعاع الشمس، وأن الـروح مثـل حرارتهـا إذن يمكـن أن يسـألوا هـل أسـس هـذا القيـاس علـى افتراض أن الشعاع والحرارة هما قوى الشمس ؟ لو كانا كذلك، إذن، حيث أن الإبـن والـروح، بكلمـات هـذا القيـاس - لهمـا صلـة وعلاقـة بـالأب بطريقـة مشابهة، يكونان مستبعدان من تعريف وتحديد الأقنومية ويصبحان قوتين باللـه أو عرضين فيه، وبذلك يكونان مخالفين له فـلا يكونـان أقنوميـن(٦٦). بعبـارة أخرى، بينما الصيغـة الكايوديسـية، التـى يتلوهـا كـل المسـيحيين الأرثوذكـس، تعنى أن الأقانيم كائنات حية، قياس الشمس واشعتها المساوية - الذى اسـتعمله

(١) تعدد التجسد لله "تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً" أى كُل واحـد منهـا يمكـن وصفـه بالوحدة كما يمكن وصفه بالكثرة.

المسيحيون الأثوذكس، يتضمن أن اثنين من الأقانيم الثلاثة، يعني الابن والروح القدس، ليسا كائنات حقيقية.

قال يحيى في تنفيذ هذه الحجة أن مثال الشمس وأشعتها الذى استعمله بعض علماء اللاهوت المسيحى فقط لجعل عقيدتهم فى التثليث مقبولة عقلياً عن طريق بيان أن بين الأشياء المدركة حسياً يوجد أشياء تتصف بكونها واحداً من جهة وأكثر من واحد من جهة أخرى، وبذلك فقد الرأى العام الذى افترضه وأكده خصومهم، يعنى أنه لا يوجد شئ ممكن أن يكون واحداً واثنين معاً بأى طريق مهما كان. لكن لا يتبع ذلك أنه عندما أقيم مقارنة لشئ بالإشارة إلى جهة معينة، أن الشئ الذى هو موضوع المقارنة يجب مشابهته للشئ الذى يقارن به بالإشارة إلى كل الجهات. حقا إنه من المستحيل أن نجد شيئين لا يوجد بينهما أى اختلاف على الإطلاق، لأن الكثرة تتضمن حتما الإختلافات، تماماً مثل ما يتضمن الاختلاف كثرة(٦٧). مرة ثانية، "لا يجب أن يفترض الواحد أن الأمثلة المستعملة عند المسيحيين أخذوها على أنها تشبه هذه التى شبهوها من كل الوجوه"(٦٨).

من الكلمات التى صرح بها يحيى يمكننا جمع ما يقول به عن قضية قياس الشمس وأشعتها فقد عنى بها أن تؤخذ كمبدأ عام يطبق على كل الأقيسة الأخرى التى يستعلمها. فى الحقيقة عرضه للقضية بعكس الرأى العام لآباء الكنيسة(١) تجاه كل قياس استعملوه لشرح غموض الثالوث. غريغوريس

(١) حسب التحديد الذى أعطاه فنسان الذى من لرنس (أواسط الجيل الخامس) أن آباء الكنيسة هم الكتاب المسيحيون فى أوائل الكنيسة الذين كانوا فى زمنهم وفى مناطقهم فى وحدة الإيمان وفى شركة الكنيسة شهوداً ومعلمين صادقين لايمان الكنيسة والشروط الرسمية الموضوعة لهذا فى الكنيسة هى : ١- صحة العقيدة (وهذا لا يعنى العصمة ولا يبعد الضلال الواقعى فى بعض الأمور)، ٢- قداسة الحياة بالمعنى الذى كان لها فى أوائل المسيحية، ٣- أن تتعرف إليه الكنيسة بسلطتها دون

التزياتزى[١] Gregory of Nyssa عبر عن ذلك بقوله : "دع الواحد يقبل ما المناسب فقط فى القياس ويرفض ما هو متضارب"(٦٩) Leontius of Byz antium أعطى تعبيراً مشابه له فى تصريحه " "لا يوجد تمثيل إلا ويحتوى على بعض عدم الملاءمة"(٧٠).

لكن تماماً كما فى التصريح الذى يتعامل مع الشمس وأشعتها، قال يحيى عكس إنكار حقيقة الأقانيم، كذلك فى عبارة أخرى يقول بضد فكرة معينة متطرفة لحقيقة الأقانيم، هذه الفكرة تقدم فرقا حقيقياً فى الوحدة المنسوبة لهم. حاول يحيى بهذا التصريح أن يرد على خصم مجهول للمسيحية، استشهد به كإتهام المسيحيين بالاعتقاد فى آلهة ثلاثة على أساس تأكيدهم أن الله، الذى هو جوهر واحد، يكون ثلاثة أقانيم وكل واحد من الأقانيم هو الله(٧١). للإجابة على هذا الإتهام، يقول يحيى أن هذا الإتهام يكون فقط لـ "الجهال بين

أن يكون ذلك بصورة واضحة. مثلا تكفى طريقة الكنيسة فى أن تذكر أسماءهم، ٤- أن يكون عاش فى "عصر الآباء" الذى ينتهى فى الغرب بموت إيزيدور الذى من اشبيليه وفى الشرق بموتت يوحنا الدمشقى أى فى الجيل الثامن. أن سلطة الآباء كبيرة جدا عندما يكون إجماعا عندهم. إذاك نستطيع أن ننظر إليهم فى المعنى الأصلى كشهود ينقلون تعليم الكنيسة، للوقوع على تعاليمهم. معجم اللاهوت الكاثوليكى، جـ ١ كارل اهتز/هريرت فورغريجلى، ترجمة المطران عبده خليفة.

(١) هو أحد الآباء الكيدوكيون الثلاثة الذين تزعموا الجهاد فى كفاح الأريوسية بعد موت أثناسيوس (٣٢٩-٣٨٩م) وقد اتخذ لقبه من مدينة هى مسقط رأسه، وكان والده أسقفا فيها كان صديقا لباسيل ومال إلى حياة الزهد والتقشف مثله، ولما رسم كاهنا راح يعاون والده، ولكن رفعه باسيل إلى رتبة الأسقفية فى قرية ساسيما وحوالى سنة ٣٧٨م شخص إلى القسطنطينية للكفاح ضد الأريوسية كافأه الامبراطور "تيودوسيوس" آخر حكام الامبراطورية الرومانية، بأن جعله أسقفا للقسطنطينية سنة ٣٨١م لكفاحة وجهاده فى نشر الإيمان النيقوى، ثم تنحى عنها ملبيا ميوله الطبيعية إلى العزلة وقد كان كاتبا من الطراز الأول لا يقل فى ابداعه الفنى واللاهوتى عن (جيريجوريس نياسا) يحسب من الآباء الشرقيين، وقد خلع عليه أهل المشرق فيما بعد لقب اللاهوتى وإليه وإلى باسيل قيصرية وجروجوريس نياسا يرجع الفضل الأكبر فى انتصار الإيمان النيقوى الجديد فى القسطنطينية، تاريخ المسيحية / فجر المسحية، جـ ١، ص ١٦٥-١٦٦.

المسيحيين" الذين يجب أن يوجه إليهم هذا الإتهام لأنهم افترضوا خطأ وبعدم تقوى أن "الأقانيم الثلاثة ذوات لثلاثة موضوعات، كل واحد منهم يختلف عن الآخر فى نفسه(٧٢). وهذا حقا يتضمن أن "الله ثلاثة جواهر"(٧٣). بالتعبير (الجهال بين المسيحيين)، أخذتها، (*)على أنه لم يعن - يحيى - العامة غير المتعلمين فقط، ولكنه يقصد بها أيضاً أتباع هذه العقيدة المعروفة بالتثليث، لأن وصفه لهؤلاء "الجهال بين المسيحيين" يعكس قول بلوتيوس(١) Plotius حيث أنه وصف أتباع عقيدة التثليث كما يلى : "إن بعض هؤلاء الذين هم أكثر من وقحين، أخذوا الطبيعة والأقانيم والذات لتعنى نفس الشئ (شيئاً واحداً)، لا يخجلون أيضاً من إثبات أنه فى الثالوث المقدس يوجد ثلاث ذوات "جواهر" عندما يعلمون، إذا لم يكن بالكلمة، مع ذلك على الأقل بالفكر، أنه يوجد ثلاثة آلهة وثلاث لاهوت(٧٤).

يؤكد يحيى أن الفكرة المسيحية الحقيقية للتثليث هى تلك التى يقول بها "العلماء المتعلمون" يعنى آباء الكنيسة الذين يذكر منهم "ديونيسيوس(٢)

(*) Walfson .

(١) بلوتيوس

(٢) الأسقف سينسيوس كان من مواطنى ليبيا التى سميت فى التاريخ القديم "سرانيا" وقيل عنه إنه من سلالة الإغريق الذين غزوا هذه الرقعة الأفريقية، انتقل إلى موطنه بعد أن درس فى مدرسة الإسكندرية ليدير أملاكه الواسعة وقضى معظم وقته فى الفلاحة والكتابة والدرس والصيد، ابتكر أسلحة جديدة للدفاع عن الوطن، لما خلا كرسى الأسقفية فى ليبيا (بتولمايس ميناء يقع بين درنة وبنغازى) أجمع الشعب كله على اختيار "سينسيوس" لهذا المنصب. وعند موافقته على هذا المنصب اشترط أن يحتفظ بزوجته وكان الأساقفة لا يتزوجون عادة. وفى هذا كتب يقول : "إن الله نفسه وشريعة البلاد، ويد فاوفيلس المباركة، قد وهبتنى هذه الزوجة، ولذلك أعلن أمام الملأ، أنى لن أنفصل عنها وأرجو أن يرزقنى الله نسلا صالحاً بمجده على الأرض". وهو أول أسقف دون التاريخ اسمه. بين صفوف المحاربين وإن يكن قد فعل ذلك دفاعاً عن شعبه ضد السلب والنهب والقتل. على أنه مع هذا كله، قام بواجباته الأسقفية فى مدته القصيرة على أحسن ما يؤدى المرء واجبه فى نشاط وإخلاص وولاء. تاريخ المسيحية، جـ ١، ص ١٦٧.

Dionysius" أفاجر غريغوريس النزيانزى أو النيض(١) ، باسيل العظيم(٢) ويوحنا تريسوستن(٧٥). فكرة التثليث هذه، كما قال يحيى يعترف بها الفرق الثلاثة للمسيحيين"(٧٦) يعنى الملكانية والنسطورية واليعقوبية.

متبعا آباء الكنيسة أخذ يحيى الأقانيم فى الصيغة التثليثية على أنها كائنات حقيقية بدون – فيما يخص ذلك – تقديم تميز حقيقى فى الواحد الذى يكون فيه الكل، وبينما يحاول – يحيى – أن يشرح هذه العقيدة بأقيسة مختلفة لا يعنى أن أى واحد منها يكون قياساً تاماً لهذا الذى يفسره. وهذا يتضمن الرأى العام لآباء الكنيسة أن التثليث سر غامض، وكل محاولات الشروح التى قام بها آباء الكنيسة ليست محاولات لحل الغموض لكن فقط محاولات لتحرير عبارة صيغتها الاعتقادية من الاتهام بأنها متناقضة(٣) بذاتها ولا معنى لها

---

(١) جريجوريوس نياسا هو أخو "باسيل" الأصغر وكان من المناطقة العظماء ومن فطاحل الكتاب – وقد اشتق لقبه من مدينة كيدوكية صغرى تدعى نياسا التى صار أسقفاً لها فى سنة ٣٧١ أو ٣٧٢م وقد امتدت به الحياة إلى ما بعد سنة ٣٩٤م ووصفه التاريخ بين الآباء الأربعة فى كنيسة المشرق. تاريخ المسيحية، جـ ١، ص ١٦٥.

(٢) ولد باسيل فى أسركيوكية – رفيعة القدر حوالى سنة ٣٣٠م، وتلقى علومه فى أرقى مدارس القسطنطينية وأثينا ترك حياة الترف وعاش راهباً ثم زار مصر اتصل بالقديس أثناسيوس وشاطره آراءه فى نظرية مساواة الروح القدس بالآب والابن وقد كانت مثار جدل ونقاش فى ذلك العصر. أضحى من أكبر دعاة الرهبنة فى آسيا الصغرى. وفى نصرة الايمان النيقوى السليم، وقد خولته وظيفته سلطة كنسية على قسم كبير من آسيا الصغرى التى استخدمها خير استخدام حتى تاريخ موته المبكر سنة ٣٧٩م. خلق أسباب التفاهم والتعاون بين خصوم الآريوسية فى الشرق وزعماء الغرب، وهم بطبيعتهم من أنصار القانون النيقوى الأقوياء، تاريخ المسيحية، جـ ١. ص ١٦٤.

(٣) وإذا كانت غير متناقضة لماذا كانت سراً غامضاً. وإنى أتساءل لماذا لم يشرح المسيح عليه السلام هذه العقيدة التى تقوم على أساسها المسيحية لأتباعه حتى يكون الإيمان بها يقيناً لا إختلاف فيه ولا تضارب ولا تناقض هل يمكن أن يقوم دين بأكمله على سر غامض ولغز مبهم لا سبيل إلى حله وكيف يدعى الناس إلى الإيمان بسر غامض، وهل يقوم دين بأكمله على عبارة لم يرد ذكرها فى الأناجيل المعتمدة لديهم بل جاءت كلمات متفرقة لم يذكرها المسيح ولم يصل بها، كيف

ويكون هذا ببيان كيف أن الفلاسفة بطرق مختلفة بررروا الممارسات العامة لإظهار الكثرة بمصطلح الوحدة.

يرسل الله عقيدة كامنة ودينا كاملاً بما لا يتفق مع العقل ولا يكلف إلا أصحاب العقول.

وما جاء عن صلاة عيسى عليه السلام في إنجيل متى ٦ : ٨-٩ "لا تكونوا مثلهم لأن الله أباكم يعرف ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه" فصلوا أنتم هذه الصلاة: أبنا الذى فى السماوات ليتقدس أسمك ... وأغفر لنا ذنوبنا كما غفرنا نحن للمذنبين" هذه هى الصلاة التى نطق بها انجيلهم ولم يكن فيها ذكر للثالوث (باسم الأب والابن والروح القدس) التى يصلى بها المسيحيون. كما أن كلمة الأب هنا ليست خاصة بعيسى عليه السلام.

كما أن صلاة يسوع من أجل تلاميذه تدل على أنه مرسل من الله كما جاء فى يوحنا ١٧ : ١-٢٦، (.. والحياة الأبدية هى أن يعرفوك أنت الإله الحق وحدك ويعرفوا يسوع المسيح الذى أرسلته ...) فالفقره هنا تفرق بين الله الواحد ويسوع الرسول الذى أرسله الله، وهو الحق، وإن كان فى فقرة أخرى توحد الفقرة بين الله وعيسى بل ويصلى له أن يكون تلاميذه أيضا واحداً، فهذا من التناقض فى الأناجيل "... احفظهم باسمك الذى اعطيتنى حتى يكونوا واحداً مثلما أنت وأنا واحد...".

كما أن الأنجيل ينطق بتبرئة عيسى عليه السلام من الذين يدعونه رباً جاء فى متى ٧ : ٢٢ "سيقول لى كثير من الناس فى يوم الحساب يا رب يا رب أما باسمك نطقنا بالنبوءات ؟ وباسمك طردنا الشياطين، وباسمك عملنا العجائب الكثيرة. فأقول لهم ما عرفتكم مرة ابتعدوا عنى يا أشرار" وهكذا يتبرأ عيسى من الذين جعلوه رباً وأصلا للنبوة والمعجزات.

الفهرست

الموضوع	رقم الصفحة
١- مقدمة المترجمة	٣
٢- التعريف بيحيى بن عدى	٩
٣- التعريف بالكندى	١٤
٤- نص بحث ولفسن	١٧

رقم الإيداع بدار الكتب
٢٠٠٣/٧٠٨٠
بتاريخ ١٧/٣/٢٠٠٣ م
الترقيم الدولى .I.S.B.N
977-298-274-9